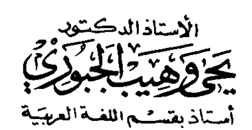


حولية
كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الثامن
١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

العمامة في الجاهلية والإسلام



« العمائم تيجـان العرب »
[عمر بن الخطاب]

العمامة ما يُلَف على الرأس والجمع عَمائم وعِمَام[1] ، وقال ابن سيده : اللباس الذي يُلاث على الرأس تكويراً[2] ، وهي في أبسط صورها قطعة قماش تلف على الرأس لفة أو عدة لفات ، سواء أكان تحتها طاقية أم لم تكن . وربما كنوا بها عن البيضة والمِغْفَر ، وعمَّمته : ألبسته العِمَّة ، وهو حَسَن العِمَّة ، أي التعمم[3] ، وعُمِّم الرجل أي سُوِّد ، لأن تيجان العرب العمائم ، فكما قيل في العجم تُوِّج من التاج ، قيل في العرب عُمِّم ، وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال متوج ، والعرب تقول للرجل إذا سوِّد قد عمم ، قال العجاج[4] :

(١) القاموس المحيط : عمم .

(٢) المخصص ٤/٨٢ .

(٣) المخصص ٤/٨٢ ، اللسان : عمم .

(٤) اللسان : عمم .

وفيهـــمُ إذْ عُمِّـــمَ المُعَمَّـــمُ

وكانوا إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء ، ومنه قول الشاعر :[٥]

رأيتُـكَ هرَّيتَ العِمـامَةَ بعـدمـا رأيتُـك دهراً فـاصعاً لا تُعَصَّبُ

تعد العمامة فخر العرب وعلامة عزهم ، وأحسن ملبس يضعونه على رؤوسهم ، وأُثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : « العمائم تيجان العرب » ، ونسب هذا القول إلى رسول الله ﷺ[٦] . وكانت العمامة ملبس خاصة العرب ، أصحاب الجاه والمكانة والنفوذ من حضر وبادية ، فإنها تميزهم عن بقية الناس[٧] ، وما كان الفقراء يستطيعون ارتداءها ، وكانوا يضعون على رؤوسهم أغطية أخرى أخف وزناً وثمناً من العمامة ، ولذلك كانوا يكنون عن الرخاء والرفاه بإرخاء العمامة ، لأن الرجل إنما يرخي عمامته عند الرخاء ، وأرخى عمامته : أي أمن وترفه ، لأن الرجل إنما يرخي عمامته إذا أيسر وطابت نفسه ، وأنشد ثعلب :[٨] :

---

(٥) اللسان عمم ، فقه اللغة ص ٢٤٣ ، وعجز البيت فيه : (عمرت زماناً حاسراً لم تعمم) .

(٦) (العمائم تيجان العرب) نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب في البيان والتبيين ٨٨/٢ والتلخيص ص ٢٠١ ، وجعله الطبرسي حديثاً منسوباً للنبي ﷺ (مكارم الأخلاق ص ١٣٧) ، ونسب أيضاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جامع الأصول ٦٣١/١٠ ، وقال : أخرجه أبو داود ، وليس فيه ، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ونسبه لابن عدي والبيهقي ، وذكره الحافظ في (الفتح) ونسبه للطبراني والترمذي في العلل من حديث أبي مليح بن أسامة بن عمير عن أبيه ، وقال الحافظ : ضعفه البخاري وصححه الحاكم ولم يصب . (انظر جامع الأصول ٦٣١/١٠ وحاشية المحقق) .

(٧) جـواد علي ٤٨/٥ .

(٨) اللســان : عمم .

أَلقَىٰ عصاهُ وأرخَىٰ من عِمَامتِـهِ وقال ضيفٌ فقلتُ الشيبُ قال أَجَلْ

أراد : وقلت الشيب هذا الذي حل ، وفي الحديث : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من (الحَوْرِ بعد الكَوْرِ)[٩] أي : من النقصان بعد الزيادة ، وهو من تكوير العمامة ، لأن الكَوْر تكوير العمامة والحَوْر نقصها ، وفي تكوير العمامة دلالة على النعمة والرخاء ، ولم يكن في وسع الفقير شراء قماش يعمم به رأسه على سنة الأغنياء[١٠] .

وللعمامة مكانة كبيرة عند العرب ، فهي رمز الشرف والرفعة ، فإذا أهينت لحق الذل بصاحبها ، وإذا هضم الرجل وأهين ألقى بعمامته على الأرض وطالب بإنصافه ، ولهذه المكانة الرفيعة التي تحتلها العمامة في نفوسهم ، اتخذوها لواء عند الحرب ، فينزع سيد القوم عمامته ويعقدها لواء ، لما في ذلك من معاني التبجيل والاحترام لأنها عمامة سيد القوم[١١] ، ولكرامة العمامة لدى العرب اتخذوها شعاراً لهم ورمزاً لعروبتهم ، سأل غيلان بن خرشة الأحنف بن قيس : « يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ، قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد »[١٢] ، وفي الخبر : « أن العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضع الله عزهم » ، وقيل : اختصت العرب بالعمائم وبالدروع وبالشعر[١٣] .

وكانوا يلوذون بعمامة الرجل إذا نزل بهم مكروه أو طلبوا حماية ، ومن ذلك قيل : (سَيِّد مُعَمَّم) أي أن كل جناية يجتنيها الجاني من العشيرة فهي

(٩) صحيح مسلم : حج ٤٢٦ ، ترمذي : دعوات ٤١ ، ابن ماجة : دعاء ٢٠ .
(١٠) اللسان : كور ، جواد علي ٥/٤٩ .
(١١) البيان والتبيين ٣/١٠٥ ، بلوغ الارب ٣/٤١٢ .
(١٢) البيان والتبيين ٢/٨٨ ، بلوغ الارب ٣/٤٠٩ .
(١٣) ثمار القلوب ص ١٥٩ ، المخصص ٤/٨٢ .

معصوبة برأسه[١٤] ، قال عمرو بن امريء القيس :[١٥]

يا مالِ والسيدُ المعمَّمُ قد ... يُبْطره بعد رأيه السَّرفُ
نحن بما عندَنا وأنت بما عِنـ ... ـدَكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ

والعمامة لباس الأشراف السادة الكرام ، ولذلك يمدح الشاعر بني تميم ، بأنهم يلوون عمائمهم على كرم[١٦] :

إذا لَبِسُوا عَمَائِمَهُم لَوَوْهَا ... على كَرَمٍ وَإنْ سَفَرُوا أناروا
يَبِيعُ ويَشْتَري لَهُمُ سِواهُمْ ... ولْكِنْ بالطِّعان هُمُ تِجَارُ
إذا ما كُنْتَ جارَ بني تميمٍ ... فأَنْتَ لأكرمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ

والعمامة لباس السادة ولذلك ارتبطت كلمة السيد بالمعمم ، وكذلك جاءت هذه العلاقة بين السيد والمعمم في شعر المغيرة بن حبناء[١٧] :

إذا المرءُ أثرىٰ ثم قال لقومِهِ ... أنا السَّيِّدُ المُفْضَىٰ إليهِ المعَمَّمُ
ولم يُعطِهِمْ شيئاً أبوا أن يسودَهم ... وهانَ عليهم رغْمه وهو ألْومُ

وقال آخر : إن الشدائد تظهر الفرسان ذوي العمائم[١٨] :

إذا كَشَفَ اليومُ العَمَاسُ عن استِهِ ... فلا يَرْتدي مثلي ولا يَتَعَمَّمُ

ولا شك أن عمامة السادة الموسرين أكبر من غيرها ، ولا يستطيع لبسها صعلوك مثل السليك بن السلكة الذي يقول :

ألا عتبتْ عليَّ فصارَمَتْني ... وَأَعْجَبَها ذَوو العمم الطوالُ

---

(١٤) البيان والتبيين ٣/٩٩ ، المخصص ٤/٨٢ .
(١٥) البيان والتبيين ٣/١٠٠ .
(١٦) البيان والتبيين ٣/١٠٤ .
(١٧) السابق ٣/١٠٣ .
(١٨) السابق والصفحة ، واللسان : عمس .

والعرب تسمي العمامة تاجاً ، يقال : توَّجه إذا عمَّمه ، ويكون توجه : سوَّده ، والمتوج : المسود ، وكذلك المعمم[19] ، ويطلق التاج على الإكليل والقصة والعمامة على التشبيه ، والعرب تسمي العمامة التاج ، وقد مر أن (العمائم تيجان العرب) جمع تاج ، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر ، أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك ، لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس أو بالقلانس ، والعمائم قليلة فيهم[20] . يقول شمعلة بن أخضر الضبي في رثاء بسطام بن قيس الشيباني في يوم شقيقة الحسنين ، ويسمي عمامته تاجاً[21] :

جلبنا الخيلَ من أكنافِ فَلْجٍ تـرى فيهـا من الغَـزْو اقـورارا
بكـلِّ طِمِـرَّةٍ وبـكـلِّ طِـرْفٍ يَـزينُ سـوادُ مقلتـهِ العِـذَارا
حَـوالَيْ عـاصبٍ بـالتَّـاجِ مِنَّـا جبيـنَ أَغَـرَّ يستلبُ الـدُّوارا
رئـيسٌ مـا ينـازِعُـهُ رئـيسٌ سوىٰ ضربِ القِداحِ إذا استثارا

ولذلك فإن العرب إذا سودوا رجلًا (جعلوه سيداً) ألبسوه عمامة حمراء ، فهي تاج أو عصابة ولذلك قالوا : رجل معصب ومعمم أي مسود ، قال عمرو بن كلثوم[22] :

وسيِّـدِ مَعْـشَـرٍ قـد عَصَّبـوهُ بتاجِ المُلْكِ يحمي المحجرينـا

قال ابن منظور : جعل الملك معصباً أيضاً : لأن التاج أحاط برأسه كالعصابة التي عصبت برأس لابسها . ويقال : اعتصب التاج على رأسه إذا

(١٩) اللسـان : توج .
(٢٠) اللسـان : توج .
(٢١) البيان والتبيين ٣/١٠٤ ، والعقد الفريد ٥/٢٠٤ ، والمؤتلف ص ١٤١ .
(٢٢) اللسان : عصب ، الدعامة في أحكام سنة العمامة ص ٤ ، وانظر العمامة ـ بدري محمد فهد ص ٥ .

استكف به ، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات[٢٣] :

يعتصِبُ التَّاجُ فوق مَفْرِقِهِ على جبينٍ كأَنَّهُ الذَّهبُ

وفي الحديث : « أنه شكا إلى سعد بن عبادة عبد الله بن أُبَيّ ، فقال : اعفُ عنه يا رسول الله ، فقد كان اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه بالعصابة ، فلما جاء الله بالإسلام شَرِق لذلك »[٢٤] ، يعصبوه : أي يسودوه ويملكوه ، وكانوا يسمون السيد المطاع معصباً لأنه يعصب بالتاج ، أو تعصب به أمور الناس ، أي ترد إليه وتدار به ، والعمائم تيجان العرب وتسمى العصائب واحدتها عصابة[٢٥] .

وقد لبس بعض زعماء العرب في الجاهلية التاج ، منهم الأشعث بن قيس ملك كندة الذي كان يُحيًّا بتحية الملك ، فلما أسلم بعد ارتداده ، زوَّجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة ، فتواضع بعد التكبر وتذلل بعد التجبر[٢٦] ، وكذلك ذو الكلاع ملك حِمْيَر ، قيل : إنه قدم على أبي بكر الصديق في عشيرته وقومه وعليه التاج . . . فلما رأى لباس أبي بكر قال : ما ينبغي لنا أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله ﷺ ، فنزع لباسه الأول وتشبه بأبي بكر[٢٧] .

وسمي غير واحد في الجاهلية بـ (ذو التاج) ، منهم : أبو أحيحة

---

(٢٣) اللســان : عصب .

(٢٤) بخاري : تفسير سورة آل عمران ١٥/٣ ، مرضى ١٥ ، مسلم : جهاد ١١٦ ، اللسان : عصب .

(٢٥) اللســان : عصب .

(٢٦) مشاكلة الناس لزمانهم ـ اليعقوبي ص ١٠ .

(٢٧) الســابق : ص ١٠ .

سعيد بن العاص بن عبد شمس[٢٨] ، وكان إذا اعتم لم يعتم معه أحد ، وقيل في عمته[٢٩] :

وكان أبو أُحَيْحَةَ قد علمتمْ بمكة غيرَ مهتضمٍ ذميمِ
إذا شَدَّ العِصابَةَ ذاتَ يومٍ وقامَ إلى المجالِسِ والخصومِ
فقد حَرُمَتْ على من كان يمشي بمكة غيرَ مُدَّخلٍ سقيمِ

وحارثة بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان ، كان على بني بكر يوم أوراة إذ قتلوا المنذر بن ماء السماء ، ومن ولده هانيء بن مسعود الشيباني صاحب يوم ذي قار[٢٩ب] ، ولقيط بن مالك ، وهو لقيط بن الحارث بن مالك بن فهم[٣٠] ، وهوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى الحنفي ، قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ ، وفيه يقول أوس بن حجر[٣١] :

أُنبِئْتُ أنَّ دَماً حَراماً نِلْتَهُ وهُرِيقَ في بُرْدٍ عليك مُحَبَّرُ

ومالك بن خالد بن صخر بن الشريد المسمىٰ بذي التاج من بني سُليم ، توَّجه بنو سليم ، وقتله عبد الله بن جذل الطعان الكناني[٣٢] ، وكذلك توّج معبد بن عمرو وغيرهم .

كانت العمامة من لباس الأشراف في الجاهلية ، لبسها سادتهم وفرسانهم وخطباؤهم ، وبخاصة حين يحضرون الأسواق كعكاظ والمجنة

(٢٨) القاموس والتاج : توج ، جمهرة الأنساب ص ٨٠ .
(٢٩) البيان والتبيين ٣/٩٧ ، الروض الأنف ١/٢٠٥ .
(٢٩ب) جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
(٣٠) جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٠ .
(٣١) المصدر السابق ص ٣١٠ ـ ٣١١ .
(٣٢) السابق ص ٢٦١ .

وذي المجاز ، وكانت العمامة من سمات الخطيب ، فكان الخطيب فيهم يلبس ملحفة ورداء وقميصاً وعمامة ، ويحمل عصا بيده ، وقد يستغنى عن بعض هذه الملابس غير العصا والعمامة[٣٣] ، ولمكانة العمامة في نفوسهم ، فإن الشعراء يمدحون لابسها على أنه من ذوي الشرف والسماحة والنجدة ، يقول الشاعر الكناني[٣٤] :

تنخَّبْتُها للنَّسْلِ وهي غريبةٌ فجاءتْ به كالبدرِ خِرْقاً مُعَمَّما
فلو شاتَمَ الفتيانَ في الحيِّ ظالماً لما وجدوا غير التكَذُّبِ مَشْتَما

ولذلك فقد اتجهت عنايتهم بالاهتمام بالعمامة ، ونظافتها ، وكيفية لوثها ، وكان من أشد ما يشتم به الرجل الانتقاص من عمامته ، يكنى الفرزدق عن الدنس والانتقاص من مكانة القوم بأنهم (دُسْم العمائم)[٣٥] :

بني عاصمٍ ان تُلجِئوها فإنَّكُم ملاجِىءُ للسَّوءاتِ دُسْمُ العَمائِمِ

في الإســـلام :

والعمامة زينة للرجل وجمال لمظهره وهيبته ووقاره ، أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « جمال الرجل في عِمَّته وجمال المرأة في خفها »[٣٦] ، وفي الأمثال : « أجمل من ذي العمامة »[٣٧] ، وهو من أمثال مكة ، قيل في سعيد بن العاص بن أمية المعروف بـ (ذي العمامة) ، وكان إذا لبس العمامة في الجاهلية لا تلبس قريش عمامة على لونها ، وقيل : إنه

(٣٣) البيان والتبيين ٣/٩٢ .
(٣٤) البيان والتبيين ٣/٩٩ .
(٣٥) البيان والتبيين ٣/١٠٦ ولم يرد البيت في ديوان الفرزدق .
(٣٦) البيان والتبيين ٢/٨٨ .
(٣٧) مجمع الأمثـال ١/١٩٧ .

كناية عن السيادة ، وذلك لأن العرب تقول : سيد معمم ، يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من القبيلة ، فهي معصوبة برأسه ، وإلى مثل هذا ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص : ذا العمامة ، وذا العصابة[٣٨] .

لبس رسول الله ﷺ العمامة ، وكانت له عمامة تسمى السَّحاب كساها علياً ، وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة ، وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ، ويلبس العمامة بغير قلنسوة ، وكان إذا اعتم أرخىٰ عمامته بين كتفيه ، روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال : « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه »[٣٩] .

وعُرف النبي ﷺ بـ (صاحب العمامة) ، لأن العمامة من صفات العرب ، وخاصة أشرافهم ورؤساؤهم ، وقد جعل بعض العلماء لبسه العمامة من علامات النبوة التي يعرف بها عند بعثته[٤٠] ، وقد نسب إليه عليه السلام قوله : (العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمائم وضع الله عزهم) ، وقوله : (اعتموا تزدادوا حلماً)[٤١] .

ولمكانة العمامة في الإسلام وصفت بأنها من لباس الملائكة ، ففي خبر يوم بدر : أن الله سبحانه وتعالى عزز المسلمين بملائكة ، عليهم عمائم بيض[٤٢] ، وقيل عمائم صفر ، وقيل سود[٤٣] ، وقال بعضهم وقد وفق بين

---

(٣٨) مجمع الأمثال ١٩٧/١ ، جواد علي ٥١/٥ .

(٣٩) زاد المعاد ١٣٥/١ وما بعدها ، فصل في ملابسه ، والوفا بأحوال المصطفى ٥٦٧/٢ ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ .

(٤٠) الدعامة ص ١٨ .

(٤١) جامع الأصول ٦٣١/١٠ ، مكارم الأخلاق ص ١٣٧ .

(٤٢) مكارم الأخلاق ص ١٣٧ .

(٤٣) الدعامة ص ٨٤ .

هذه الروايات : إن الملائكة يوم بدر كانوا بعمائم صفر ، وبعضهم بعمائم بيض ، وبعضهم بعمائم سود ، وبعضهم بعمائم حمر(٤٤) ، وقيل إن الملائكة أُرسلت أيضاً يوم حنين وعليها العمائم(٤٥) .

وأصبح التعمم في الإسلام سنَّة ، جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : « يا أبا عبد الرحمن ، العمامة سنة ، فقال نعم ، قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : اذهب فاسدل عليك ثيابك والبس سلاحك ، ففعل ثم أتى النبي ﷺ فقبض ما سدل بنفسه ، ثم عممه فسدل من بين يديه ومن خلفه »(٤٦) وكان رسول الله ﷺ قد عمم نفراً من أصحابه منهم علي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان لا يولِّي والياً حتى يعممه ، وقال مالك : « العمة والاحتباء والانتعال من عمل العرب »(٤٧) ، وصار الاعتمام في الإسلام مقروناً بالحلم ففي حديث أبي مُليح عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (اعتمّوا تزدادوا حلماً)(٤٨) .

ولأهمية العمامة في الحياة الإسلامية فقد جاءت أحاديث صحيحة وأخرىٰ يشوبها الوضع ، فمن الأحاديث المقبولة حديث ركانة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (فرق ما بيننا وبين المشركين . العمائم على القلانس)(٤٩) ، ويروى أن رسول الله ﷺ ، دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم غدير خم فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه ، ثم قال :

(٤٤) الدعامة ص ٦٧ .
(٤٥) الدعامة ص ٦ .
(٤٦) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ باب العمائم .
(٤٧) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .
(٤٨) جامع الأصول ٦٣١/١٠ .
(٤٩) جامع الأصول ٦٣٠/١٠ .

(هكذا فاعتموا فإن العمائم سيماء الإسلام ، وهي الحاجز بين المسلمين والمشركين)[٥٠] ، وهناك أحاديث أخرى لم أجدها في كتب الحديث المعتمدة بل جاءت في الكتب المتأخرة من مثل كتاب (الدعامة في أحكام سنة العمامة) من مثل : (عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة وأرخوا لها خلف ظهوركم) ، و (ركعتان بعمامة خير من سبعين بلا عمامة) و (إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة) ، ولا شك أن هذه الروايات سواء أصحت أم لم تصح ، فيها دلالة على أهمية العمامة في الحياة الإسلامية ، واهتمام المسلمين بلبسها والتجمل بها ، وخاصة في المناسبات الإسلامية ، كالأعياد وصلاة الجماعة وغيرها[٥١] ، ومن صور هذه المكانة الكبيرة للعمامة في نفوس المسلمين منذ عهد مبكر ، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم إليه رجل يشكو إليه عدي بن أرطاة في أرضه ، فقال عمر : « قاتله الله ، أما والله ما غرنا إلاَّ بعمامته السوداء »[٥٢] .

مكانة العمامة وفوائدها :

مر بنا أن للعمامة مكانة كبيرة في نفوس العرب ، فهي رمز الشرف والرفعة فإذا أهينت لحق الذل بصاحبها ، وإذا هضم الرجل وأهين ألقى بعمامته على الأرض ، وطالب بإنصافه ، ولهذه المكانة الرفيعة التي تحتلها العمامة في نفوسهم ، اتخذوها لواء في الحرب ، فينزع سيد القوم عمامته ويعقدها لواء ، لما في ذلك من معاني التبجيل والاحترام لأنها عمامة سيد القوم ، وكذلك فعل الأحنف بن قيس سيد تميم في البصرة ، حين قامت الحرب بين تميم والأزد ، فقد خلع عمامته وعقدها لواء على رمح ، ثم دفعها

---

(٥٠) عمدة القارىء ٢١/٣٠٨ .

(٥١) الدعامة في أحكام سنة العمامة ص ٦ ـ ١٤ .

(٥٢) المحاسن والمساوي ـ البيهقي ٢/٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

لعبس بن طلق بن ربيعة[٥٣] ، ويمدح زيد بن كثوة العنبري رجلاً ، فيشبه عمامته بلواء فوق الرجال ، لما لها من مكانة وشرف وتميز[٥٤] :

فجاءتْ بِهِ عَبْل القَوام كأنَّما   عمامتُه فوق الرجالِ لواءُ

ويعلق الجاحظ قائلاً : « لأن العمامة ربما جعلوها لواء » وكانوا يلبسون العمامة في الحرب ويضعونها في السلم ، أما بيت سحيم بن وثيل الرياحي الذي استشهد به الحجاج وطار صيته ، وهو مطلع قصيدة[٥٥] :

أنا ابنُ جَلا وطلَّاعُ الثَّنايا   متى أضعُ العِمامَةَ تعرفوني

فأراد به : متى أسفر وأحدر اللثام عن وجهي ، تنظروا إلى فتعرفوني .

وكانوا يتخذون من العمامة قناعاً عند حضورهم المواسم والأسواق ، إذا كانوا مطلوبين لئلا يتعرف عليهم أعداؤهم ، فيثأروا منهم ، وكان منهم من يترفع عن التستر بالعمامة فيسفر تحدياً لأعدائه ، مثل أبي سليط طريف بن تميم ، وكان يسمى لذلك (ملقي القناع) وقد رآه أعداؤه في سوق عكاظ ، فكانوا يتفرسون في وجهه إدراكاً لطلبتهم ، فقال في ذلك[٥٦] :

أَوَكُلَّما وردتْ عكاظَ قبيلةٌ   بعثوا إليَّ عريفَهم يتوسَّمُ
فتوسَّموني إنَّني أنا ذاكمُ   شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ
تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نَثْرةٌ   زَغْف تردُّ السَّيْفَ وهو مثَلَّمُ
ولكلِّ بكريٍّ إليَّ عداوةٌ   وأبو ربيعةَ شانيءُ ومُحَلِّمُ

وكان من نتيجة هذا التكشف والتحدي ، أن ظفر به خصومه فقتلوه .

---

(٥٣) تاريخ الطبري ٢٧/٧ ط الحسينية .
(٥٤) البيان والتبيين ١٠٤/٣ ـ ١٠٥ .
(٥٥) انظر القصيدة في الأصمعيات ص ٣ .
(٥٦) البيان والتبيين ١٠٠/٣ ـ ١٠١ .

وسئل أبو الأسود الدؤلي عن العمامة وفوائدها ، فأجملها في قولة : « جُنَّة في الحرب ، وَمَكَنَّة من الحر ، ومدفأة من القُرّ ، وَقَار في النَّدِيّ ، وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب »[٥٧] ، وقد سئل أعرابي : إنك لتكثر لبس العمامة ، فقال : إن شيئاً فيه السمع والبصر ، لجدير أن يوقى من الحر والقر[٥٨] ، ويذكر الجاحظ فائدة أخرىٰ للعمامة ، ما تزال تستعمل حتى الوقت الحاضر ، وهي ان الأعراب كانوا يشدون بها أوساطهم عند المجهدة ، وإذا طالت العُقْبة ، والعُقْبة مقدار السير عند السفر[٥٩] ، وفي خبر مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه حين طعن ، عصبت بطنه بعمامة سوداء[٦٠] ، ويقول مصعب بن عمير الليثي في سياق هجائه ، انهم يشدون عمائمهم على أكبادهم من شدة الجوع[٦١] :

فســيروا فقد جَنَّ الظَّــلامُ عليـكُمُ
فباســتِ امريء يرجو القِــرىٰ عند عاصـمِ
دَفَعنا إليه وهـو كالـذِّيخ خـاظيا نَشُـدُّ على أكبـادنـا بـالعمـائم

وقال شاعر آخر وقد بلغ به الجهد مبلغاً[٦٢] :

خليلي شُدَّا لي بفضل عمامتي على كَبِـدٍ لم يبقَ إلَّا صميمُها

وكانت العمامة كذلك شعاراً للعرب ورمزاً لعروبتهم ، سأل غيلان بن

---

(٥٧) البيان والتبيين ٣/١٠٠ ، عيون الأخبار ١/٣٠٠ .
(٥٨) البيان والتبيين ٣/١٠٠ .
(٥٩) الســابق ٣/١٠٥ .
(٦٠) مسند أحمد بن حنبل ١/٥١ ، وانظر في مقتل عمر كتاب المحن ص ٤٨ ـ ٦٢ .
(٦١) البيان والتبيين ٣/١٠٥ والبخلاء ص ١٨٥ ، وبلوغ الارب ٣/٤١٢ .
(٦٢) البيان والتبيين ٣/١٠٦ .

خرشة الأحنف بن قيس : « يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ، قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد »[٦٣] .

وقد مر في الخبر : « أن العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوها وضع الله عزهم » ، وقيل : اختصت العرب بالعمائم وبالدروع وبالشعر[٦٤] .

وقد تستعمل العمامة لأغراض أخرى غير التي ذكرت ، وقد جمع المستشرق « دوزي » طرائف من العصور المتأخرة نقتطف بعضاً منها :

صارت العمامة في العصور المتأخرة كبيرة وكثيرة الطيات ، فاستعملها الناس في حفظ نقودهم ، أو بعض ما يحرصون عليه ، ففي خبر القاضي عبد الباسط ، أنه وشى به عتد السلطان بتهمة حيازته السحر ، فلما فتشوا عمامته ، وجدوا فيها قطعة من أديم ، ووجدوا أوراقاً فيها أدعية جليلة ، وخواتم فضة ، فسأله السلطان عن تلك القطعة من الأديم فقال : « هذه من نعل النبي ﷺ ، فقبّلها السلطان ووضعها على عينيه ، وأعاد إليه ثيابه »[٦٥] . ويقول دوزي[٦٦] : ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة : « فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته ، وكثيراً ما توضع حافظة النقود في العمامة ، ولهذه العلة يحرص اللصوص في الشرق على اختطاف عمائم السابلة فوق كل حرص » ، ويستنتج من خلال كتاب ألف ليلة وليلة ، أن العمامة ، وهي قطعة قماش فارعة الطول ، يلفها المتعممون حول الرأس ،

---

(٦٣) البيان والتبيين ٩٨/٣ وفسر حمية الأوغاد : بأن يعدوا التواهب ذلاً .

(٦٤) ثمار القلوب ص ١٥٩ .

(٦٥) عن كتاب تاريخ مصر لابن إياس ، انظر المعجم المفصل ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٦٦) المعجم المفصل ص ٢٥٣ .

كانت تستعمل لتكتيف سجين أو أسير ، أو لشد الإنسان نفسه فوق شيء توقياً من السقوط ، ففي رحلة ابن بطوطة نقرأ قوله : « فكنت أشدّ نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف »[٦٧] . وقد تستعمل العمامة لخنق الإنسان نفسه أو لخنق سواه ، ففي رحلة ابن بطوطة نقرأ محاولة انتحار : « فدخل إلى بيته وربط عمامة بسقف البيت ، وأراد أن يخنق نفسه » ، أو عملية إعدام : « فجعلوا عمامته فوق عنقه وشنقوه بها » ، وقد يكون في وضع العمائم في أعناق الخيل ، دلالة على الرغبة في الموت : « وجعلوا العمائم في أعناق خيلهم ، وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت » ، وعند الموت توضع عمامة الرجل على الجزء البارز من النعش ، وينحت كذلك شكل عمامة على شاهدة القبر حين يكون الميت ذكراً ، وبهذا يمكن تمييز قبور الرجال عن قبور النساء ، لأن قبور النساء ينحت لها إكليل امرأة[٦٨] .

وبقيت العمامة موضع عناية واهتمام وإجلال المسلمين حتى العصور المتأخرة ، ففي القرن التاسع عشر الميلادي ، يعتني المصريون بالعمامة بأن يخصصوا لها كرسياً يعرف بـ (كرسي العمامة) توضع عليه ليلاً ، ولا يستعمل إلاّ لهذا الغرض ، وكثيراً ما يعد هذا الكرسي في جهاز العروس ، كما كان من المعتاد أيضاً أن يكون للمرأة كرسي آخر لغطاء رأسها[٦٩] ، ويروي أدوارد لين حكاية ، تبين مقدار ما يكنه الناس من احترام للعمامة ، وانها رمز الإسلام ، فيقول : « رووا أن عالماً سقط من فوق

(٦٧) السابق نفسه .
(٦٨) المعجم المفصل ص ٢٥٤ .
(٦٩) المصريون المحدثون ص ٣٧ ـ ٣٨ .

حماره في شارع من شوارع المدينة ، فتدحرجت مُقْلته (عمامته) بعيداً عنه ، فتجمع المارون وأخذوا يجرون وراء العمامة صائحين : ارفعوا تاج الإسلام ، ارفعوا تاج الإسلام ، بينما كان العالم المسكين طريح الأرض يناديهم مغتاظاً : انهضوا أولاً شيخ الإسلام »[٧٠] .

أسماء العمامة :

للعمامة أسماء كثيرة ذكرها الشعر الجاهلي ، وهذه الأسماء مستمدة من شكلها وهيئتها ، فمن أسمائها :

السب :

السب في الأصل شقة كتان رقيقة ، والسب : الستر ، والخمار ، والعمامة ، والسب الثوب الرقيق[٧١] ، وكانوا يصبغون عمائمهم بصفرة ويعصفرونها بالعصفر ، وذلك ما كان يفعله الزبرقان بن بدر ، وإلى ذلك يشير المخبل السعدي وذكر (سِبّ) الزبرقان أي عمامته[٧٢] :

ألم تعلمي يا أمَّ عَمْرةَ أنَّني — تخاطأني رَيْبُ الزمانِ لأكبرا
وأشهدُ من عوفٍ حُلولا كثيرةً — يحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرقانِ المزعفرا

أراد بقوله (يحجون) يطلبون الاختلاف إليه لينظروه ، يعني عمامته[٧٣] .

---

(٧٠) المصريون المحدثون ص ٣٨ .
(٧١) اللسان : سبب .
(٧٢) اللسان والتاج : سبب ، المخصص ٨٢/٤ ويروى : المعصفرا .
(٧٣) اللسان : سبب .

العصابة :

يقول الجاحظ : العصابة والعمامة سواء ، وإذا قالوا : سيد معمم فإنما يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه[٧٤] ، قال دريد بن الصمة[٧٥] :

أبلِغْ نُعيماً وعوفاً إنْ لقيتَهما   إنْ لم يكن في سمعيهما صَمَمُ
فلا يزالُ شهابٌ يستضاءُ بِهِ   يهدي المقَانِبَ ما لم تهلك الصِّمَمُ
عاري الأشاجِعِ معصوبٌ بلمَّتهِ   أمرُ الزَّعامةِ في عِرنينهِ شَمَمُ

وقال ابن منظور : والعمائم تيجان العرب وتسمى العصائب واحدتها عصابة ، وقال المخبل السعدي في الزبرقان[٧٦] :

رأيتُكَ هَرَّيْتَ العِمَامَةَ بعدَما   أراكَ زماناً حاسراً لم تعصَّبِ

قال : وهو مأخوذ من العصابة وهي العمامة ، وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر للسادة من العرب ، قال الأزهري : « وكان يحمل إلى البادية من هراة عمائم حمر يلبسها أشرافهم ، ويقال : رجل معصب ومعمم أي مسود ، « قال عمرو بن كلثوم »[٧٧] :

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قد عَصَّبُوهُ   بتاجِ المُلْكِ يحمي المُحْجَرينا

---

(٧٤) البيان والتبيين ٣/٩٩ .
(٧٥) البيان والتبيين ٣/٩٩ ، وديوان دريد ص ١١٠ وفي الرواية خلاف .
(٧٦) اللسان : عصب .
(٧٧) اللسان : عصب .

ويقال اعتصب التاج على رأسه إذا استكفَّ به ، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات[٧٨] :

يَعْتَصِبُ التَّـاجُ فَـوْقَ مَفْـرِقِـهِ عـلى جبـينٍ كَـأَنَّـهُ الـذَّهَـبُ

وفي اللســـان : العصابة العمامة وكل ما يعصب به الرأس ، والعمائم يقال لها العصائب ، قال الفرزدق[٧٩] :

وَركبٍ كَأَنَّ الرِّيـحَ تطلبُ منهمُ لها سَلَباً من جذبِها بـالعَصائِبِ

أي تنفض لَيَّ عمائمهم من شدتها ، فكأنها تسلبهم إياها ، وقد اعتصب بها . وفي الحديث أنه عليه السلام : « رخص في المسح على العصائب والتساخين » قيل : هي كل ما عصبت به رأسك من عمامة أو منديل أو خرقة[٨٠] .

و (ذو العصابة) لقب سعيد بن العاص ، وهو حفيد أبي أُحيحة سعيد بن العاص بن أميَّة الملقب بـ (ذو التاج) ، وفيهم يقول الشاعر خالد بن يزيد[٨١] :

كَعَابٌ أبوهـا ذو العِصابَـةِ وابنُه وعثمـانُ مـا أكفـاؤهـا بكثيـرِ

---

(٧٨) اللســان : عصب .

(٧٩) اللســان : عصب .

(٨٠) أبو داود : طهارة ٥٨ ، أحمد بن حنبل : ٢٧٧/٥ ، المخصص ٨٢/٤ ، اللسان : عصب .

(٨١) البيان والتبيين ٩٩/٣ .

المِكْـور :

ومن أسماء العمامة المِكْوَر والمِكْوَرة والكوَّارة ، والتسمية مستمدة من طريقة لف العمامة ، قال الليث : الكَوْر لوث العمامة ، يعني إدارتها على الرأس ، وقال النضر : كل دارة من العمامة كَوْر ، وكل دَوْر كور ، وكار العمامة على الرأس يكورها كوراً : لاثها عليه وأدارها ، قال أبو ذؤ يب[٨٢] :

وصُـــرَّادُ غَيْمٍ لا يـزالُ كَـأَنَّــهُ   مُـلاءٌ بـأشـرافِ الجبـال مَكُـورُ

وقد سميت العمامة المِكْوَر والمِكْورة والكوارة ، وقولهم : (نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر) ، قيل : الحور النقصان والرجوع ، والكور الزيادة ، أخذ من كور العمامة ، وفي الحديث : « أن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ من الحَوْر بعد الكَوْر »[٨٣] أي من النقصان بعد الزيادة ، وهو من تكوير العمامة أي لفها وجمعها لأن الكور تكوير العمامة والحور نقصها ، وفي تكوير العمامة دلالة على النعمة والرخاء ، ولم يكن في وسع الفقير شراء قماش يعمم به رأسه على سنة الأغنياء[٨٤] .

والكوارة أيضاً : خرقة تجعلها المرأة على رأسها ، قال ابن سـيده : الكوارة لوث تلتاثه المرأة على رأسها بخمارها ، وهو ضرب من الخمرة ، وأنشد[٨٥] :

عسراءُ حين تردَّىٰ من تَفَحُّشها   وفي كِـوارَتِهـا من بغيهـا مَيَـلُ

وقولـــه أنشده الأصمعي لبعض الأغفال[٨٦] :

جافيـــة مَعْوىٰ مــلاث الكَـــوْرِ

(٨٢) اللسان : كور .

(٨٣) مسلم : حج ٤٢٦ ، ترمذي : دعوات ٤١ ، ابن ماجة : دعاء ٢٠ .

(٨٤) اللسان : كور ، جواد علي ٤٩/٥ .

(٨٥) اللســان : كور .   (٨٦) اللســان : كور .

قال ابن سيده : يجوز أن يعني موضع كور العمامة . ويقول عنترة إن عمامته بيضة حرب وليست عمامة مكورة الأطراف[87] :

وما الفخرُ إلاَّ أَن تَكُونَ عِمَامتي مكورةَ الأطرافِ بالصَّارمِ الهندي

الخمار :

وتطلق كلمة (الخِمَار) على العمامة مجازاً ، ففي حديث أم سَلَمة : « انه كان يمسح على الخف والخمار »[88] أرادت بالخمار العمامة ، لأن الرجل يغطي بها رأسه ، كما أن المرأة تغطيه بخمارها ، وذلك إذا كان قد اعتم عمة العرب ، فأدارها تحت الحنك ، فلا يستطيع نزعها في كل وقت ، فتصير كالخفين ، غير انه يحتاج إلى مسح القليل من الرأس ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب[89] .

وجاء اسم الخمار من التغطية ، فكل مغطى مخمر ، وسميت الشاة السوداء ورأسها أبيض مخمرة على التشبيه بلبس الخمار ، وكان الخمار أبيض[90] ، ومنه أيضاً قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمعاوية : « ما أشبه عينك بخِمْرة هند » الخِمْرة : هيئة الاختمار ، وكل مغطى مخمر ، روي عن النبي ﷺ قوله : (خمروا آنيتكم)[91] ، قال أبو عمرو : التخمير التغطية .

وسمي غير واحد من الجاهليين بذي الخمار ، منهم الأسود العنسي (عبهلة بن كعب) ، وذو الخمار عوف بن الربيع بن ذي الرمحين ، سمي

---

(٨٧) ديوان عنترة ص ١٢٩ ط صادر .

(٨٨) بخاري : وضوء ٣٥ ، ٤٨ ، مسلم : طهارة ٧٢ ، ٧٣ .

(٨٩) اللسان : خمر .

(٩٠) اللسان : خمر .

(٩١) بخاري : بدء الخلق ١٦ ، أشربة ٢٢ ، مسلم : أشربة ٩٧ .

بذي الخمار لأنه قاتل في خمار امرأته وطعن كثيرين ، فإذا سئل أحدهم : من طعنك ، قال : ذو الخمار[٩٢] .

وجعل الأعشى الشيب للمرء كالخمار ، فهو يتبدل به بعد الصبى حكمة[٩٣] :

وإنَّ أخاكِ الذي تعلمينْ ليالِيَنا إذْ نَحُلُّ الجِفَارا
تَبَدَّلَ بَعْدَ الصِّبَىٰ حكمةً وقنَّعهُ الشيبُ منه خِمَارا

المعجر :

أصل المِعْجَر والعِجار : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ، ثم تجلبب فوقه بجلبابها ، والجمع معاجر ، ومنه أخذ الاعتجار وهو لَيّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك ، والاعتجار : لف العمامة دون التلحي[٩٤] ، والاعتجار : لبسة كالالتحاف ، قال الشاعر :[٩٥]

فما ليلي بناشِزَةِ القُصَيرَى وَلَا وَقْصاءَ لِبْسَتُها اعتِجَارُ

المقعطة :

المِقْعَطَة : العمامة ، والتقعيط : شد العمامة[٩٦] ، وقعط عمامته يقعطها قعطاً ، واقتعطها : أدارها على رأسه ولم يتلح بها[٩٧] ، وقد نهي عنه ، وقيل إن رسول الله ﷺ أمر المتعمم بالتلحي ونهى عن الاقتعاط ، وهو

(٩٢) القاموس المحيط : خمر .
(٩٣) ديوان الأعشى ص ٩٥ .
(٩٤) اللسان : عجر .
(٩٥) اللسان : عجر ، فقه اللغة ص ٦٤ و ص ٢٤٥ : المعجر بين المقنعة والرداء ، والمخصص ٣٨/٤ .
(٩٦) القاموس المحيط : قعط .
(٩٧) المخصص ٨٢/٤ ، اللسان : قعط .

شد العمامة من غير إدارة تحت الحنك[٩٨] ، وقال ابن الأثير : الاقتعاط هو أن يعتم بالعمامة ولا يجعل منها شيئاً تحت ذقنه ، وقال الزمخشري : المقعطة والمقعط ما تعصب به رأسك ، والمقعطة العمامة منه ، وجاء فلان مقتعطاً إذا جاء متعمماً طابقياً ، وقد نهي عنها ، ونحو ذلك قال الليث ، ويقال : قعطه قعطاً ، وأنشـد[٩٩] :

طُهَيَّـــــةُ مَقْعُــوطٌ عليهـــا العَمائِمُ

المشـوذ :

ومن أسماء العمامة (المِشْوَذ) ، قال ابن الأعرابي : يقال للعمامة المشوذ والعمامة ، ويقال : فلان حسن الشيذة ، أي حسن العمة[١٠٠] ، وأنشد ابن الأعرابي للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، وقد كان ولي صدقات تغلب[١٠١] :

إذا ما شدَدْتُ الرأسَ مني بِمِشْوَذٍ   فغَيَّـكِ مني تغلِبُ ابنـةَ وائِـلِ

يريـد : غيا لك ما أطوله مني ، وفي الحديث أن النبي ﷺ : بعث سرية فأمرهم أن يمسحوا على المشاوذ والتساخين[١٠٢] ، وقال أبو بكر : المشاوذ والعمائم واحدها مشوذ والميم زائدة ، وقال أبو منصور في أصل معنى مشوذ : أحسـبه أخذ من قولك شوذت الشمس إذا مالت للمغيب ، وذلك

---

(٩٨) اللسـان : قعط .

(٩٩) اللسـان : قعط .

(١٠٠) اللسان : شوذ ، المخصص ٨٢/٤ ، التلخيص ص ٢٠١ .

(١٠١) اللسان : شوذ .

(١٠٢) اللسان : شوذ ، التساخين : الخفاف .

أنها كانت غطيت بهذا الغيم ، قال الشاعر[١٠٣] :

لَدُنْ غُدْوَة حتى إذا الشَّمسُ شوَّذَتْ لـذي سَـوْرةٍ مخشيَّـةٍ وحـذارِ

وتشوذ الرجل واشتاذ أي تعمم ، وجاء في شعر أمية بن أبي الصلت : شوذت الشمس ، قال أبو حنيفة : أي عممت بالسحاب ، قال أمية[١٠٤] :

وشـوَّذتْ شمسُـهم إذا طـلعتْ بـالـخُلْبِ هِـفَّـاً كـأنَّـهُ كَتَـمُ

قال الأزهري : أراد أن الشمس طلعت في قتمة كأنها عممت بالغبرة التي تضرب إلى الصفرة ، وذلك في سنة الجدب والقحط ، أي صار حولها خلب سحاب رقيق لا ماء فيه ، وفيه صفرة ، وكذلك تطلع الشمس في الجدب وقلة المطر ، والكتم نبات يخلط مع الوسمة يختضب به .

المدماجـة :

وسميت العمامة مِدْمَاجة لانطوائها والتفافها ، جمعها مداميج ، والمدمج المحكم[١٠٥] .

العمار والعميرة :

وقد تسمى العمامة عَمَاراً ، والعَمَار : كل شيء على الرأس من عمامة أو قلنسوة أو غير ذلك ، ومنه قيل للمعتم معتمر ، وقال ابن جني : وهي العميرة[١٠٦] .

وفسروا (العمار) في قول الأعشى بالعمامة ، يقول الأعشى[١٠٧] :

---

(١٠٣) اللسان : شوذ .

(١٠٤) اللسان : شوذ ، والمخصص ٨٢/٤ وانظر التلخيص ص ٢٠٢ .

(١٠٥) اللسان والقاموس : دمج .

(١٠٦) المخصص ٨٢/٤ .

(١٠٧) ديوان الأعشى ص ١٠١ ، الصحاح واللسان : عمر .

فلمــا أتــانــا بُعيــدَ الكَــرَىٰ سجــدنــا لــه ورفعنــا عَمَــارا

ويروى (ووضعنا العمارا) ، قيل : يريد وضعنا العمامة عن رأسنا إعظاماً للقادم ، وجاءت بلفظة (معتمر) في قول أعشى باهلة[١٠٨] :

وجاشتْ النفسُ لمَّا جاءَ جمعُهمُ وراكب جـاءَ من تَثليث معتمـرُ

ويروى (معتمرا) بالنصب ، فسروا المعتمر بالمتعمم بالعمار وهي العمامة ، قال أبو عبيدة : « في هذا البيت : هو المعتم بالعمامة ، والاسم منه العمار ، وكل شيء جعلته على رأسك ، من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو إكليل أو غير ذلك فهو عمار ، ومنه قول الأعشى : فلما أتانا بعيد الكرىٰ . . . . »[١٠٩] ، وفسر آخرون قوله (معتمرا) أي زائراً لمكان العمرة ، وقيل في بيت الأعشى أيضاً (ورفعنا عمارا) أي رفعنا الريحان تحية للقادم .

ولا شك أن هذه الأسماء إنْ هي إلَّا صفات للعمامة ، مستمدة من هيئتها وطريقة لبسها وقد ظهرت أسماء أخرىٰ للعمامة في العصور المتأخرة وهي أسماء مرتبطة في بيئة معينة وزمن بعينه مثل (المُقْلة) في مصر ، و (الكَشْطة) و (الملوسـة) و (الـزِمـالـة) في تـونس والمغـرب ، و (الكَشِيدة) و (الجَراويَّة) في العراق وغير ذلك ، أما الاسم العام الشائع في مختلف العصور فهو العمامة أو العمــة .

كيفيــة لبس العمامــة :

وردتنا من العصور الجاهلية والإسلامية أسماء تدل على كيفية لبس العمامة منها ، السدل والإرخاء والاعتجار والاحتناك والتلثم . . . وغير

(١٠٨) الأصمعيات ص ٨٨ ، كتاب الأمثال ـ القاسم بن سلام ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .
(١٠٩) كتاب الأمثال ص ٣٨٠ .

ذلك . ونستطيع من خلال أوصاف عمامة الرسول ﷺ أن نتعرف على عمائم الصدر الأول في الجاهلية والإسلام ، ولا شك أن لبس العمائم وهيئاتها في العصور المتأخرة قد استمر على ما هو عليه في العصور الأولى مع تغيير بسيط تبعاً للتغير الطارىء على حجم العمامة وشكلها ومادة صنعها .

قيل : « كانت عمائم العرب محنكة » أي طرف منها تحت الحنك[110] ، وما يكون منها تحت الحنك يسمى (الحنكة) ، أما ما أرسل منها على الظهر فهو (الذؤابة) ، ويسمى أعلى العمامة (القفدة) ، وإذا كانت العمامة ضخمة فهي (العجراء) ، وفي العمامة (الكور) وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس[111] ، وقد جرت العادة أن ترخى العذبة ، وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى[112] ، وأهم طرائق الاعتمام المعروفة هي :

الاعتجار :

كانوا يلبسون العمامة إما (احتناكاً) أو (اعتجاراً) ، والاعتجار : لف العمامة دون التلحي ، وقد تلحَّىٰ الرجل إذا جعلها تحت ذقنه ، واقتطعها إذا لم يتلح بها بل لواها على رأسه ولم يسدلها[113] ، وروي أن النبي ﷺ : « دخل مكة يوم الفتح معتجراً بعمامة سوداء » أي أنه لفها على رأسه ولم يلتح بها[114] .

والعجرة نوع من العمة ، يقال : فلان حسن العجرة ، وفي حديث

---

(١١٠) بلوغ الارب ٣/٤٠٨ .

(١١١) بلوغ الارب ٣/٤١٢ .

(١١٢) إرشاد الساري ٨/٤٢٠ .

(١١٣) التلخيص ص ٢٠٢ .

(١١٤) زاد المعاد ١/١٣٦ ، جامع الأصول ١٠/٦٣٢ ، اللسان : عجر .

عبيد الله بن الخيار : وجاء وهو معتجر بعمامته ما يرى وحشى منه إلَّا عينيه ورجليه ، والاعتجار بالعمامة : أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه ، والاعتجار لبسة كالالتحاف ، قال الشاعر[١١٥] :

فما ليلى بِنَاشِزةِ القُصيرىٰ ولا وَقْصَاءَ لِبْسَتُها اعتجارُ

إرخاء العمامة :

وكانوا يرخون عمائمهم ، والإرخاء في الأصل : التوسيع والرفاه وعدم التضييق ، وكانوا يكنون عن الرخاء والرفاه بإرخاء العمامة ، لأن الرجل إنما يرخي عمامته عند الرخاء ، وأرخى عمامته ، أي أمن وترفه لأنه يرخي عمامته إذا أيسر وطابت نفسه ، والمراد بإرخاء العمامة أن يرسل طرفها ، أي لا يعقد ولا يعقف طرفها[١١٦] ، يقولون في الآمن المطمئن : أرخى عمامته لأنه لا ترخى العمائم في الشدة[١١٧] ، وقد جرت العادة أن ترخى العذبة ، وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى[١١٨] ، وأنشد ثعلب[١١٩] :

ألقىٰ عصاهُ وأَرخَىٰ من عِمَامَتهِ وقال ضيفٌ فقلت الشيبُ قال أجلْ

أراد : وقلت الشيب هذا الذي حل ، وقد عبر جرير عن هذا المعنى حين خاطب عون بن عبيد الله ، يريد أن يعينه على الدخول على الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي لم يقبل على الشعراء[١٢٠] :

---

(١١٥) اللسان : عجر ، المخصص ٤/ ٨٢ .

(١١٦) اللسان : سدل .

(١١٧) اللسان : رخا .

(١١٨) إرشاد الساري ٨/ ٤٢٠ .

(١١٩) اللسان : عمم ، فقه اللغة ص ٢٤٣ ، باختلاف عجز البيت .

(١٢٠) ديوان جرير ص ٤٨٦ ط صادر .

يٰا أيها الرَّجلُ المرخي عمامتَـهُ هٰذا زمانُك إني قد مَضَىٰ زمني
أبلغْ خليفَتَنَـا إن كنـتَ لاقيَـهُ أنِّي لدَىٰ البابِ كالمصفودِ في قَرَنِ

وقد جرت العادة أن ترخى العمامة من جانب واحد ، وقد ترخى من جانبين أيضاً ، من أمام ومن خلف ، ففي رواية في طبقات ابن سعد : « رأيت علياً متعصباً بعصابة سوداء ، ما أدري أي طرفيها أطول ، الذي قدامه أو الذي خلفه ، يعني عمامته »[١٢١] ، وكذلك فعل الشعبي[١٢٢] . وكان رسول الله ﷺ يرخي طرف عمامته بين كتفيه ، ففي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : « رأيت النبي ﷺ على المنبر ، وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه »[١٢٣] ، وفي حديث عمرو بن أمية : « كأني أنظر الساعة إلى رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، أرخى طرفها بين كتفيه »[١٢٤] ، ووصف ابن عمر عِمَّة رسول الله ﷺ بقوله : « كان يدير كور العمامة على رأسه ، ويغرزها من ورائه ، ويرخي له ذؤابة بين كتفيه »[١٢٥] ، وقد يرخيها عليه الصلاة والسلام من بين يديه ومن خلفه ، ففي حديث ثوبان : « أن النبي ﷺ كان إذا اعتم أرخى عمامته بين يديه ومن خلفه »[١٢٦] .

وكان رسول الله ﷺ يعمم أصحابه ويرخي لهم عذبة من خلفهم ، عمم علي بن أبي طالب يوم غدير خم ، وأرخى عذبة العمامة من خلفه[١٢٧] ،

---

(١٢١) طبقات ابن سعد ١٨/٣ .

(١٢٢) السابق ١٧٦/٦ .

(١٢٣) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٢٤) أخرجه النسائي ٢١١/٨ في الزينة باب إرخاء طرف العمامة بين الكتفين ، وجامع الأصول ٦٣٢/١٠ .

(١٢٥) عمدة القارىء ٣٠٨/٢١ .

(١٢٦) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٢٧) السابق نفسه والصفحة .

وكذلك عمم عبد الرحمن بن عوف ، فعن ابن عمر قال : « عمم رسول الله ﷺ ابن عوف بعمامة سوداء كرابيس ، وأرخاها من خلفه قدر أربع أصابع ، وقال : هكذا فاعتم »[١٢٨]، ولذلك ما كان المسلمون يرون في إرخاء العمامة بأساً ، وإن كان السدل أحسن ، سئل مالك عن إرخاء العمامة بين الكتفين فقال : « لم أر أحداً ممن أدركته يرخي بين كتفيه ، إلَّا عامر بن عبد الله بن الزبير ، وليس ذلك بحرام ، ولكن يرسلها بين يديه ، وهو أكمل »[١٢٩] .

وكانوا يرخون العمامة من الخلف أو من الأمام ، وكانوا يرخونها أكثر من شبر ، وكان ممن أرخى عمامته من الخلف من أصحاب رسول الله ﷺ ، علي بن أبي طالب[١٣٠] ، وعمر بن الخطاب[١٣١] ، وسعيد بن المسيب ، وكان يرخي عمامته من الخلف شبراً[١٣٢] ، وشريح[١٣٣] ، وسعيد بن جبير[١٣٤] ، وعلي بن الحسين[١٣٥] ، وسالم بن عبد الله[١٣٦] ، وعبيد الله بن عبد الله[١٣٧] ، والقاسم بن محمد[١٣٨] .

---

(١٢٨) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .
(١٢٩) السابق نفسه .
(١٣٠) طبقات ابن سعد ١٩/٣ ط ليدن .
(١٣١) السابق ١٢٨/٤ - ١٢٩ .
(١٣٢) السابق ١٠٢/٥ .
(١٣٣) السابق ٩٦/٦ .
(١٣٤) السابق ١٨٢/٦ .
(١٣٥) السابق ١٦١/٥ .
(١٣٦) السابق ١٤٦/٥ .
(١٣٧) السابق ١٥٠/٥ .
(١٣٨) السابق ١٤٣/٥ .

السـدل :

المراد بسدل العمامة إرسال العذبة إلى الأمام أو الخلف ، وأصل السدل : الإرخاء والإرسال ، يقال : سدل الشعر والثوب والستر أرخاه وأرسله[139] ، والإسدال في الملابس مكروه في الصلاة ، ففي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أنه خرج فرأىٰ قوماً يصلون قد سدلوا ثيابهم ، فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم »[140] ، قال أبو عبيد : السدل هو إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضم جانبيه بين يديه ، فإن ضمه فليس بسدل ، وقد رويت فيه الكراهة عن النبي ﷺ[141] ، وفي الحديث : « نُهي عن السدل في الصــلاة »[142] ، هو أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد وهو كذلك ، وكانت اليهود تفعله فنهوا عنه ، وهذا مطرد في القميص وغيره من الثياب ، وقيل : هو أن يضع وسط الإزار على رأسه ، ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله ، من غير أن يجعلهما على كتفيه[143] .

أما بالنسبة للعمامة ، فالسدل هو سدل العَذَبة ، وهي طرف العمامة ، والأصل فيها أن ترسل على الكتفين[144] ، أما السدل المنهي عنه في العمامة فهو إطالة العذبة ومجاوزتها الحد المألوف[145] ، وذهب بعض العلماء إلى أن

---

(١٣٩) اللســان : سدل .

(١٤٠) اللســان : سدل .

(١٤١) الدارمي : صلاة ١٠٤ ، اللسان : سدل .

(١٤٢) الترمذي : صلاة ١٦١ ، أبو داود : صلاة ٨٥ .

(١٤٣) اللســان : سدل .

(١٤٤) اللســان : عذب .

(١٤٥) نيل الأوطار ـ الشوكاني ١/٤١٠ ـ ٤١١ .

الكراهة في إطالة العذبة ، أو سدل الثياب ، لما فيه من دلالة على الخيلاء ، وهذا هو المنهي عنه[١٤٦] .

وكان رسول الله ﷺ يسدل عمامته ، وكذلك كان يفعل الصحابة رضوان الله عنهم ، وكانت عمة النبي ﷺ على الوجه الآتي : « كان حين يعتم يدير كور العمامة على رأسه ويغرزها من ورائه ، ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه »[١٤٧] ، وعن نافع عن ابن عمر : « أن رسول الله ﷺ ، كان إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه »[١٤٨] ، قال نافع : « وكان ابن عمر يفعل ذلك »[١٤٩] ، قال أبو عبيد : « ورأيت القاسم وسالماً يفعلان ذلك »[١٥٠] ، وأخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال : « لقد عممني رسول الله ﷺ بعمامة فسدلها من بين يدي ومن خلفي أصابع »[١٥١] ، ويروى أن رسول الله ﷺ ، عمم علياً فسدلها بين يديه ، وقصرها من خلفه قدر أربع أصابع ، ثم قال : « أدبر ، فأدبر ، ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال : هكذا يكون تيجان الملائكة »[١٥٢] .

وسدل بعض الصحابة عمامته على وجهه لعلة إصابته ، فقد كان عمر بن الخطاب يسدل عمامته على طرف عينيه بسبب إصابة ، فقد قيل : « اطلع

---

(١٤٦) الدعامة في أحكام سنة العمامة ـ الكناني ص ٦١ وما بعدها .

(١٤٧) عمدة القارىء ٣٠٨/٢١ ، الوفا بأحوال المصطفى ٥٦٧/٢ .

(١٤٨) جامع الأصول ٦٣١/١٠ .

(١٤٩) الوفا ٥٦٧/٢ ، جامع الأصول ٦٣١/١٠ .

(١٥٠) جامع الأصول ٦٣١/١٠ وأخرجه الترمذي في اللباس ١٢ .

(١٥١) الترمذي : لباس ، باب العمائم ، جامع الأصول ٦٣١/١٠ ، عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٥٢) مكارم الأخلاق ـ الطبرسي ص ١٣٨ .

عمر في بئر بالأبواء فأصابته لقوة ، فأعلم بعمامة سوداء ، وسدلها على الشق الذي أصيب به »[153] ، أما معاوية فقد سدل عمامته على فمه ، ففي رواية : « رأيت معاوية على المنبر معتماً بعمامة سوداء فسدلها على فيه »[154] .

العذبة والذؤابة :

العذبة أو الذؤابة طرف العمامة المسدل من الخلف أو من أمام ، وعذبة كل شيء طرفه ، واعتبر السدل في العمامة هو سدل العذبة وهو طرف العمامة ، والأصل فيها أن ترسل بين الكتفين[155] ، واعتبر إطالة العذبة من دلائل الخيلاء ، وهو المنهي عنه[156] ، وقد مر بنا أن مقدار العذبة هو شبر أو أكثر قليلاً ، وقد كان بعض الصحابة يعتم القفداء ، وهو أن يعقد العمامة في القفا من غير أن يرسل لها عذبة ، كما كان يفعل مصعب بن الزبير[157] ، وحصل في العصور المتأخرة أن صارت العذبة منفصلة عن العمامة ، فكان يؤتى بقطعة قماش وتغرز من الخلف في العمامة بدلاً من إرسال طرفها[158] ، وصارت العذبة فيما بعد من شعار الصوفية ، وعد من أرسلها من غيرهم آثماً وكذاباً[159] ، وبلغ من تمسكهم بها وجعلها شعاراً لهم ، أنهم حددوا الجهة التي يجب أن ترسل فيها العذبة ، وهي الجهة اليسرى[160] وليس من أية جهة كانت ، كما هو الحال عند بقية المسلمين .

---

(١٥٣) عيون الأخبار ٣/٤٦ .

(١٥٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٤ .

(١٥٥) اللسان والتاج : سدل .

(١٥٦) الدعامة ص ٦١ ـ ٦٢ .

(١٥٧) البيان والتبيين ٣/١٠٣ ، اللسان والتاج : قفد .

(١٥٨) الدعامة ص ٤٤ .

(١٥٩) الدعامة ص ٥٥ .

(١٦٠) الدعامة ص ٤٨ .

القفـداء :

القفداء لبســة ، وهي أن يعقد العمامة في القفا من غير أن يرسل لها عذبة[١٦١] ، وفي اللسان : القَفَد (بالتحريك) جنس من العِمَّـة ، واعتم القفد والقفداء إذا لوىٰ عمامته على رأسه ولم يسدلها ، وقال ثعلب : هو أن يعتم على قفد رأسه ، ولم يفسر القفد[١٦٢] ، وفي التهذيب : والعمة القفداء معروفة وهي غير الميلاء ، قال أبو عمرو : كان مصعب بن الزبير يعتم القفداء ، وهو أن يعقد العمامة في القفا ، وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص ، الذي قتله الحجاج يعتم الميلاء ، قال الفرزدق[١٦٣] :

ولو شَهِد الخيلَ ابنُ سعدٍ لقنَّعُوا عِمـامَتَـه المَيْـلاءَ عَضْبـاً مهنَّـدَا

ويرد تعبير : (اعتم القفداء واشتمل الصماء) في العصر العباسي في مقامات الحريري ، في وصف أبي زيد السروجي[١٦٤] . والمراد بالميلاء ضرب من الاعتمام ، حكى ثعلب : هو يعتم الميلاء أي يميل العمامة[١٦٥] .

الاقتعـاط :

أصل الإقعاط : الشدة والتضييق ، وقعط عمامته قعطاً واقتعطها : أدارها على رأسه ولم يتلح بها ، وقد نهي عنه ، وفي الحديث : « أنه أمر المتعمم بالتلحي ونهى عن الاقتعاط »[١٦٦] ، وهو شد العمامة من غير إدارة تحت الحنك ، قال ابن الأثير : الاقتعاط هو أن يعتم بالعمامة ولا يجعل منها شيئاً

---

(١٦١) البيان والتبيين ١٠٣/٣ ، اللسان : قفد .
(١٦٢) اللسان : قفد .
(١٦٣) البيان والتبيين ١٠٣/٣ ، اللسان : قفد ، والبيت مما لم يرو في ديوانه .
(١٦٤) شرح مقامات الحريري ٣٩/٤ .
(١٦٥) اللســان : ميل .
(١٦٦) و (١٦٧) اللســان : قعط .

تحت ذقنه[١٦٧] . وقال الزمخشري : المقعطة والمقعط ما تعصب به رأسك ، والمقعطة العمامة منه ، وجاء فلان مقتعطاً إذا جاء متعمماً طابقياً ، وقد نهى عنها ، وأنشد[١٦٨] :

طُهَيَّةُ مَقْعُوطٌ عليها العَمَائِمُ

التخمر والتلثم :

يقال تخمرت المرأة بالخمار واختمرت : لبسته ، وخمرت به رأسها غطته ، وسميت العمامة خماراً لأن الرجل يغطي بها رأسه ، كما أن المرأة تغطيه بخمارها ، ومنه حديث أم سلمة : « أنه كان يمسح على الخف والخمار »[١٦٩] ، وذلك إذا كان قد اعتم (عمة العرب) فأدارها تحت الحنك فلا يستطيع نزعها في كل وقت فتصير كالخفين غير أنه يحتاج إلى مسح القليل من الرأس ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب .

والتخمر بالعمامة إدارتها تحت الحنك ، ثم تغطية الفم أو الوجه بجزء منها ، فتكون لثاماً أو قناعاً ، وقد مر بنا أن بعض فرسان العرب كانوا يحضرون المواسم والأسواق متقنعين بالعمامة أو متلثمين بها ، لئلا يعرفهم أعداؤهم فيثأروا منهم[١٧٠] ، وفي خبر كعب بن زهير عند إسلامه ، أنه أتى رسول الله ﷺ عند صلاة الصبح وهو متلثم بعمامته ، فقال : « يا رسول الله ، رجل يبايعك على الإسلام ، وبسط يده وحسر عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا مكان العائذ بك أنا كعب بن زهير . . . . »[١٧١] .

---

(١٦٨) اللسان : قعط .

(١٦٩) مسلم : طهارة ٨٤ ، ترمذي : طهارة ٧٥ ، النسائي : طهارة ٨٥ ، اللسان : خمر .

(١٧٠) البيان والتبيين ٣/١٠٠ .

(١٧١) طبقات الشعراء ١/١٠٠ ، وانظر شعر المخضرمين ص ٢٢٢ ، والعمامة لبدري فهد ص ١٦ وقد جاء اسم الشاعر : كعب بن مالك ، وهما .

وقد بقي التلثم بالعمامة لدى العرب وبخاصة سكان البادية ، ولا شك أن لهذا صلة بحياتهم وبيئتهم ، فهم يتعرضون لوهج الشمس وريح السموم والغبار ، وشدة البرد في الشتاء ، فهم يتقون كل ذلك بالتلثم ، أما سكان المدن فلم تحوجهم بيئتهم إلى ذلك .

التحنك والتلحي :

التَّحَنُّــك أو التلحي : وهو أن تدير العمامة من تحت الحَنَك[١٧٢] ، وفي الحـديث : « كانت عمـائم العرب محنكـة » أي طرف منهـا تحت الحنك[١٧٣] ، وما يكون منها تحت الحنك يسمى (الحَنَكة) ، ويقال : تلحى الرجل إذا جعلها تحت ذقنه ، واقتعطها إذا لم يتلح بها بل لواها على رأسه ولم يسدلها[١٧٤] .

وقد أُثر عن رسول الله ﷺ ، أنه لبس العمامة متحنكاً وغير متحنك ، ومرخياً طرف العمامة وغير مرخ لها[١٧٥] ، ويبدو أن فريقاً من المتأخرين اعتبروا التحنك سنَّة ، وعدم التحنك بدعة منكرة[١٧٦] ، وقد تشدد بعض رجال الحنفية في أمر التحنك ، وجعلوا من يستخف بذلك كافراً ، لأنه يستخف بالسنة النبوية ، من ذلك ما ورد عن الكمال بن الهمام ، أحد أئمـة الحنفية ، في كتابه المسامرة : « أن من استقبح من آخر جعل العمامة تحت حَلْقه كفر »[١٧٧] .

---

(١٧٢) الصحاح واللسان : حنـك .

(١٧٣) بلوغ الارب ٤٠٨/٣ .

(١٧٤) التلخيص ص ٢٠٢ .

(١٧٥) الدعامة في أحكام سنة العمامة ص ٧١ - ٧٣ .

(١٧٦) الدعامــة ص ٦٨ .

(١٧٧) الدعامــة ص ١٨ .

تسميات أُخَر :

وهناك ألفاظ - غير ما مر - تدل على التعمم وهيئته ، ذكرتها كتب اللغة ، من ذلك :

الزوقلة : يقال زوقل عمامته إذا أرخىٰ طرفيها من ناحيتي رأسه ، قال ابن دريد : فإذا لاثها على رأسه ولم يسدلها على ظهره ، ولم يرددها تحت حنكه ، فهي القفداء[178] .

الجله : يقال جَلَهْتُ العمامة أجلَهُها جَلْهاً ، إذا رفعتها مع طيها عن جبينك ومقدم رأسك[179] .

التختم : وقد يسمى التعمم التختم ، قال الزجاجي : جاء (متختماً) أي متعمماً ، وما أحسن تختمه أي تعممه[180] .

ألوان العمائم :

نعرف من ألوان العمائم لدى عرب الجاهلية جملة ألوان ، منها : الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأحمر ، ولكن هناك لونين متميزين ، هما اللون الأصفر واللون الأحمر ، فاللون الأصفر كان يميز عمائم السادة ، فهم يلبسون العمائم المهراة ، وهي الصفرة لباس سادة العرب[181] ، فكانوا يصبغون عمائمهم بصفرة ويعصفرونها بالعصفر ، وذلك ما كان يفعله

(١٧٨) المخصص ٤/٨٢ .
(١٧٩) المخصص ٤/٨٣ .
(١٨٠) السابق ٤/٨٣ .
(١٨١) فقه اللغة ص ٢٤٢ .

الزبرقان بن بدر ، وإلى ذلك يشير الشاعر ، وذكر (ســب) الزبرقان ، والسب العمامة[١٨٢] :

وأشهـدُ من عوفٍ حُلولا كثيـرةً   يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرقان المُعَصْفَرا

أما اللون الأحمر في العمامة فكان شعار الفرسان ، وعمامة الحرب حمراء ، وكذلك إذا سودوا شخصاً (جعلوه سيداً عليهم) عمموه بعمامة حمراء[١٨٣] .

وفي الإسلام نجد ألوان العمائم الجاهلية نفسها ، والألوان الشائعة هي : الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، وأُثر عن رسول الله ﷺ ، أنه كانت له عمامة بيضاء تسمى (السَّحــاب) ، كساها علي بن أبي طالب ، وكان يلبسها ويلبس تحتها قلنسوة ، وكان النبي ﷺ يعتم بعمامة سوداء أيضاً ، روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال : « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، وقد أرخى طرفيها بين كتفيه »[١٨٤] ، وعند الفتح دخل مكة وعليه عمامة سوداء[١٨٥] ، وكانت له عمامة حرقانية أيضاً ، وتطلق كلمة (حرقانية) على ضرب من الوشي فيه لون كأنه محترق[١٨٦] .

---

(١٨٢) اللسان والتاج : سبب ، المخصص ٨٢/٤ .

(١٨٣) اللسان : عمم ، جواد علي ٥٠/٥ .

(١٨٤) صحيح مسلم ٥٠٩/٣ حج ، باب جواز دخول مكة بغير إحرام ، أبو داود : اللباس باب في العمائم ، زاد المعاد ١٣٥/١ ، الوفا ٥٦٧/٢ ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ .

(١٨٥) زاد المعاد ١٣٦/١ ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ ، الوفا ٥٦٧/٢ .

(١٨٦) المخصص ٨٣/٤ .

العمائم الصفر :

أما الصحابة ومن بعدهم فقد لبسوا العمائم البيض والسود والصفر ، وكانت العمائم الصفر تأتيهم من هراة ، ولذلك يقال لمن لبسها (هَرَّىٰ عمامته)[١٨٧] ، وهي كما سبق من عمائم السادة ، قال الشاعر[١٨٨] :

رأيتُـكَ هَرَّيْتَ العِمَـامةَ بعـدما　　عَمرتَ زمانـاً حاسِـراً لم تعَمَّمِ

وكانوا يصبغون العمائم بالزعفران فتسمى (المزبرقة) ، ويقال إن سبب تسمة الحصين بن بدر بالزبرقان ، هو لبسه عمامة مزبرقة بالزعفران[١٨٩] ، وفي العصر العباسي كانت عمائم أولاد الأنصار ذات لون أصفر[١٩٠] ، وربما لبسها بعض الخطباء ، ففي النجوم الزاهرة[١٩١] : كان أحد خطباء الموصل يرتدي عمامة صفراء .

العمائم الحمر :

ولبسوا العمائم الحمر ، وممن لبسها الشعبي[١٩٢] ، وكان بعضهم يجعل لعمامته علماً أحمر ، إذا كان لونها أبيض ، وقد عرف عن حمزة بن عبد المطلب أنه وضع في عمامته يوم بدر ريشة حمراء من ريش النعام[١٩٣] ، ومن الذين أعلموا عمامتهم بعلم أحمر كذلك : سعيد بن العاص[١٩٤] ،

---

(١٨٧) عيون الأخبار ٢٩٨/١ .
(١٨٨) فقه اللغة ص ٢٤٣ .
(١٨٩) طبقات ابن سعد ١٧٦/٦ .
(١٩٠) رسوم دار الخلافة ـ الصابي ص ٩١ ـ ٩٢ .
(١٩١) ابن تغري بردي حوادث سنة ٤١١هـ .
(١٩٢) طبقات ابن سعد ١٠٢/٥ ، ١٧٦/٦ .
(١٩٣) البيان والتبيين ١٠١/٣ .
(١٩٤) طبقات ابن سعد ١٠٢/٥ .

ومحمد بن علي[١٩٥] ، ويرد ذكر العمائم الحمر في العصر العباسي على أنه من لباس الخدم ، ففي بعض المراجع ورد هذا البيت[١٩٦] :

رأيت بـاب الـدارين أسـودين ذي عـمـامـتـين حـمـراوين

العمائم السود :

على أن السود والبيض هي الأكثر شيوعاً ، وكان رسول الله ﷺ يعتم بعمامة سوداء ، ففي حديث الحسن بن علي قال : « رأيت النبي ﷺ على المنبر ، وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفها بين كتفيه »[١٩٧] ، وفي الحديث : أن رسول الله ﷺ ، كان قد عمم عبد الرحمن بن عوف بعمامة سوداء كرابيس ، وأرخاها من خلفه قدر أربع أصابع »[١٩٨] ، وممن لبس العمائم السود من الصحابة والتابعين : علي بن أبي طالب[١٩٩] ، وعمر بن الخطاب[٢٠٠] ، ومعاوية بن أبي سفيان[٢٠١] ، وعبد الرحمن بن عوف[٢٠٢] ، وسعيد بن المسيب[٢٠٣] ، ومحمد بن الحنفية[٢٠٤] ، وأبو موسى

---

(١٩٥) السابق ٢٣٧/٥

(١٩٦) الملابس العربية الإسلامية ص ١١٧ يحيل على معجم الأدباء ٢٩١/٦ ولم أجد البيت فيه .

(١٩٧) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٩٨) السابق والصفحة ، والكرابيس : القطن .

(١٩٩) طبقات ابن سعد ١٨/٣ .

(٢٠٠) عيون الأخبار ٤٦/٣ .

(٢٠١) طبقات ابن سعد ٨٣/٤ ، تاريخ اليعقوبي ٢٧٤/٢ .

(٢٠٢) طبقات ابن سعد ٩٣/٣ .

(٢٠٣) طبقات ابن سعد ١٠٢/٥ .

(٢٠٤) ابن سعد ٨٤/٥ .

الأشعري[٢٠٥] ، وعبد الرحمن بن يزيد[٢٠٦] ، والأسود بن يزيد[٢٠٧] .

وقد صار اللون الأسود فيما بعد شعار العباسيين ، ويقال إن سبب اتخاذهم السواد شعاراً لهم ، يرجع إلى ما روي : أن رسول الله ﷺ عقد يوم حنين للعباس بن عبد المطلب راية سوداء[٢٠٨] ، وصار لباس الدولة الرسمي هو السواد ، فكان أرباب الدولة ، من وزراء وقواد وأمراء وموظفين وقضاة وأدباء وفقهاء وغيرهم ، يضعون على رؤوسهم العمائم السود[٢٠٩] ، وكان حاجب الحجّاب ، إذا سار في موكب لبس القباء الأسود ، والعمامة السوداء ، والسيف والمنطقة ، وقدامه الحجاب وخلفاؤهم[٢١٠] ، وكانت خلع التقليد والولاية والتشريف للأمراء وأصحاب الجيوش وولاة الحرب ، العمائم المصمتة السوداء ، أي الخالصة السواد[٢١١] ، وأما خلع المنادمة ، فكانت عمائم الوشي المذهبة[٢١٢] ، وكان العاملون في دار الخلافة ملزمين بلبس العمائم السود ، فإذا أخلّوا بذلك عوقبوا[٢١٣] ، ومن جانب آخر فإن لبس السواد والعمائم السود كان محظوراً على العامة[٢١٤] .

---

(٢٠٥) ابن سعد ٨٣/٤ .

(٢٠٦) ابن سعد ٨٣/٦ .

(٢٠٧) ابن سعد ٤٩/٦ .

(٢٠٨) صبح الأعشى ٢٧٤/٣ .

(٢٠٩) رسوم دار الخلافة ص ٩٢ .

(٢١٠) السابق ص ٧٨ .

(٢١١) السابق ص ٩٦ .

(٢١٢) السابق ص ٩٦ .

(٢١٣) السابق ص ٧٢ .

(٢١٤) رسوم دار الخلافة ص ٩٢ .

العمائم البيض :

أما العمائم البيض فقد كانت شائعة في الجاهلية وصدر الإسلام ، وكانت الملابس البيض بعامة مرغوباً فيها في الإسلام ، لما روي في الحديث عن سَمُرة بن جُنْدب قال : « قال رسول الله ﷺ : البسوا البياض ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم »[٢١٥] ، وقد لبس كثير من الصحابة العمائم البيض ، تأسياً برسول الله ﷺ ، وذكر ابن سعد في طبقاته جريدة بأسماء الصحابة الذين لبسوا العمائم البيض فمنهم : سعيد بن المسيب[٢١٦] ، وسالم بن عبد الله[٢١٧] ، والقاسم بن محمد[٢١٨] ، ونافع بن جبير[٢١٩] ، وعلي بن الحسين[٢٢٠] ، وأبو هريرة[٢٢١] ، وسعيد بن جبير[٢٢٢] ، والشعبي[٢٢٣] ، وخارجة بن زيد[٢٢٤] ، وغيرهم .

العمائم الخضر :

أما العمائم الخضر فلم يرد لها ذكر في العصور الأولى ، ولكن الملابس الخضر كانت مألوفة ، وكان بعض الناس يعتقد أن لباس أهل الجنة الأخضر ، وأن عمائمهم خضر[٢٢٥] ، وقد لبس رسول الله ﷺ الملابس

---

(٢١٥) تحفة الأحوذي ٨/٩٤ .
(٢١٦) طبقات ابن سعد ٥/١٠٢ .
(٢١٧) السابق ٥/١٤٢ .
(٢١٨) السابق ٥/١٤٣ .
(٢١٩) السابق ٥/١٠٢ ، ١٥٢ .
(٢٢٠) السابق ٥/١٦١ .
(٢٢١) السابق ٢/٥٨ .
(٢٢٢) السابق ٦/١٨٦ .
(٢٢٣) السابق ٦/١٧٦ .
(٢٢٤) السابق ٥/١٩٤ .
(٢٢٥) مرآة الزمان ـ سبط ابن الجوزي ٨/٥٨٨ سنة ٦١٤هـ ، العمامة ص ٢٦ .

الخضر ، ففي حديث أبي رمثة قال : « رأيت رسول الله ﷺ وعليه بردين أخضرين »[٢٢٦] ، ولكننا لم نقف على أنه لبس العمامة الخضراء ، ولم تظهر العمائم الخضر في العصور الإسلامية إلاّ في عهد المأمون ، فإنه حين اختلف مع أخيه الأمين ، عمد إلى التقرب إلى العلويين ، فأعطى ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا ، وتزيًّا بالخضرة شعار العلويين سنة ٢٠١هـ ، وأمر أرباب دولته باتباع سنته ، ثم ما لبث أن دبر قتل ولي عهده العلوي ، وخلع الخضرة ولبس السواد شعار العباسيين . وفي سنة ٧٧٣هـ في العهد المملوكي في مصر والشام ، يأمر السلطان شعبان بن حسن أن يجعل الأشراف في عمائمهم علامة خضراء بارزة ، وذلك فيما يرىٰ : « تعظيماً لقدرهم ، وليقابلوا بالقبول والإقبال ، ويمتازوا عن غيرهم في هذا المنوال »[٢٢٧] ، وقد سجل الشعر هذه الظاهرة ، فقال محمد بن جابر الأندلسي الأعمى[٢٢٨] :

جعلوا لأبنـاءِ النَّبيِّ عـلامـةً ... إنَّ العـلامةَ شـأنُ من لم يشهرِ
نورُ النبوةِ في كـريمِ وجوهِهِمْ ... يُغْني الشَّريفَ عن الطِّرازِ الأخْضَرِ

وقال شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي[٢٢٩] :

أطرافُ تيجانٍ أتتْ من سندسٍ ... خُضْـرٍ بأعـلامٍ على الأشْـرافِ
والأشـرفُ السلطانُ خَصَّهُمُ بها ... شَـرَفـاً ليفـرقَهمْ من الأطـرافِ

---

(٢٢٦) تيسير الوصول ٤/١٤٤ .
(٢٢٧) الدعامة ص ٩٥ ـ ٩٧ .
(٢٢٨) الدعامة ص ٩٧ .
(٢٢٩) السابق نفسه .

ثم أمرهم السيد محمد الشريف المتولي ، باشا مصر ، سنة ١٠٠٤هـ ، أن يجعلوا العمامة كلها خضراء[٢٣٠] ، من هذا يتضح أن العمائم الخضر متأخرة ، ليس لها ذكر في العصور الأولى فيما نعلم .

وقد لبس الفلاحون والمتصوفة العمائم الملونة[٢٣١] ، أما العمائم التي تجمع بين ألوان مختلفة فهي عمائم بعض المتصوفة ، وهذه الألوان متأتية ، من رقع بعض الخرق بعضها ببعض ، يكونون منها عمامة بسيطة يلبسونها ، ومن الدراويش الرفاعيين من يلبسون عمامة من الصوف الأسود ، أو من الموصلي الزيتوني القاتم ، أما عمائم الأقباط واليهود وغيرهم فهي عامة من الموصلي أو الكتان الأسود أو الأزرق[٢٣٢] .

تطور العمامة في العصور العباسية :

كانت العمامة في الجاهلية وصدر الإسلام بسيطة لا تعقيد فيها ، صغيرة ليست ضخمة ، وقلما يكون فيها وشي أو زينة ، وكانت عمامة النبي ﷺ نموذجاً لعمائم أصحابه ، كانت عمامته عليه السلام وسطاً لا كبيرة ولا صغيرة ، قال القسطلاني :

« لم تكن عمامته ﷺ بالكبيرة التي تؤذي حاملها ، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد ، بل وسطاً بين ذلك »[٢٣٣] ، وبمرور الزمن زادت العمامة مهابة ، وصارت تراثاً مقدساً ، على أنها من سنن النبي ﷺ ، وزادت حجماً ، فكثرت طياتها ، وكثر وشيها وزينتها ، وصار

---

(٢٣٠) السابق ص ٩٨ .

(٢٣١) تلبيس إبليس ص ٨٦ .

(٢٣٢) المصريون المحدثون ص ٣٧ .

(٢٣٣) الدين الخالص ٦/٢١٨ ، واللباس والزينة ص ٢٦١ .

لبسها من تمام التقوىٰ والمروءة ، ولذلك أصبح المجتمع لا يستسيغ خلع العمامة ، بل يعد ذلك إخلالاً بالآداب العامة ، وانتقاصاً من المروءة ، وما كانت تخلع العمامة إلاّ في مناسك الحج ، تعبداً لله وذلاً له ، وكانت تخلع أيضاً عند المصائب ، إظهاراً للحزن ، أو تعزية بفقد عظيم ، فكانوا يخلعونها عند وفاة خليفة أو أمير ، جاء في الأغاني : « قال محمد بن عباد المهلبي : لما مات أبو عيسى بن الرشيد ، دخلت إلى المأمون وعمامتي علي ، فخلعت عمامتي ونبذتها وراء ظهري ـ والخلفاء لا تعزى في العمائم ـ ودنوت ، فقال لي : يا محمد ، حال القدر دون الوطر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهون ، فجعل الله الحزن لك لا عليك »[٢٣٤] ، وكانوا كذلك يخلعون العمامة عن رأس صاحبها عند إنزال العقوبة به ، إذلالاً له .

وكان لا بد لموظفي الدولة ، وحاشية السلطان ، والداخلين إليه ، من لبس العمامة ، وكان خلعها في دار الخلافة لأي سبب كان ، يعد جناية يعاقب عليها أشد العقاب ، روى الصابي : أن بعض أولاد الأمراء والقواد العاملين في دار الخلافة ، زمن المعتضد ، كانوا يجتمعون في حجرة ، يستريحون بها بعد انتهاء الخدمة وانصراف الموكب ، فيتخففون من ملابسهم ، فيخلعون خفافهم ، ويضعون عمائمهم عن رؤوسهم ، ويلعبون بالشطرنج والنرد ، فاطّلع عليهم ذات يوم رجل من أصحاب الأخبار[٢٣٥] ، فكتب إلى الخليفة المعتضد بالله يخبره بحالهم ، فأمر الخليفة أن يضربوا ، فضرب كل واحد منهم عدة مقارع ، قال : « فما رئي بعد ذلك

(٢٣٤) الأغاني ١٠/١٩٠ .

(٢٣٥) أي من رجال الشرطة السرية .

إلاَّ لازم للتوفر على الخدمة متجنب للتبذل »[٢٣٦] .

ويروي الصابي رواية أخرىٰ زمن عضد الدولة البويهي ، أن رجلاً يدعى أبا المثنى ، دخل دار الخلافة وخلع عمامته من رأسه ، ووضعها بين يديه ، فرآه بعض أصحاب الأخبار ، فكتب بذلك إلى أستاذ الدار ، فخرج أستاذ الدار وشتمه ، وأخذ عمامته وضرب بها رأسه ، حتى تقطعت قطعاً ، واعتقله ، ولم يطلق سراحه إلاَّ بعد أن تُوسط لدى عضد الدولة ، واعتذر عنه بأن الرجل محرور الرأس ولا يستطيع ترك عمامته على رأسه ، وأنه لم يخلع العمامة لجهل بالآداب المتبعة ، وإنما لذلك السبب[٢٣٧] .

ودخل العماني الراجز على الرشيد لينشده شعراً ، وعليه قلنسوة طويلة ، وخف ساذج ، فقال له الرشيد : « إيَّاك أن تنشدني إلاَّ وعليك عمامة عظيمة الكورة ، وخفان دُمَالقان »[٢٣٨] .

وصار لكل فئة ـ في العصر العباسي ـ عمائم متميزة من حيث الحجم والوشي واللون ، تبين مكانتهم الاجتماعية ، وصارت العمامة تكبر وتتعقد وتتضخم ، وارتبط عظم العمامة وتطويل عذبتها بمكانة الشخص الاجتماعية ، ولها دلالة على هيبته ووقاره ، يقول الجاحظ متحدثاً عن الاستعانة بالأشياء في إظهار الهيبة : « وهل ذلك إلاَّ كتعظيم كور العمامة ،

(٢٣٦) رسوم دار الخلافة ص ٧٢ . وانظر : العمائم رسوم لبسها ونزعها ، ميخائيل عواد ، مجلة الثقافة ص ١٦ ـ ١٩ العدد ٢٨٥ سنة ١٩٤٤م ، وكذلك : نزع العمائم في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم ، تعليق في مجلة الرسالة ص ٣١٠ ـ ٣١١ العدد ٤٥٣ سنة ١٩٤٢م .

(٢٣٧) رسوم دار الخلافة ص ٧٧ .

(٢٣٨) البيان والتبيين ١/٩٥ ، الدمالق : الخف المستدير الأملس .

واتخاذ القضاة القلانس العظام في حمّارة القيظ ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ، فإذا كانت القلانس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها ، حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة »[٢٣٩] .

وصارت العمامة تقاس بالأذرع بعد أن كانت بضعة أشبار ، فقد روى عن الحسن بن أحمد الهمداني المقرىء (٥٩٦هـ) : أنه كان يلبس عمامة طولها سبعة أذرع[٢٤٠] ، وقيل إن بعض العمائم بلغت ثلاثين ذراعاً ، وقيل مائة[٢٤١] ، والرقم الأخير مجاوز للمعقول ، وكان عمارة اليمني قد مدح محمد بن شمس الخلافة ، وهو بدمياط ، وطلب في قصيدته أن يهديه عمامة شرب جديدة وطويلة جداً ، يقول[٢٤٢] :

فأنفذْ لي بأطولَ من حسابي إذا أُحضرتُ في يومِ القيامهْ
ولا تَكُ يا خَطيرُ فدَتْكَ نفسي قديمةَ مدةٍ لحقت قُدامهْ
وأرسلْها وختم الشِّربِ فيها كخَوْدٍ فوقَ وجنتِها غرامهْ
كأنَّ بياضَها وجهٌ نقيٌّ وحسنُ الرقمِ فوقَ الخدِّ شامهْ

وأكبر عمامة سجلها التاريخ الإسلامي ، تلك التي شهدها ابن بطوطة ، ففي رحلته إلى الاسكندرية ، رأى فيها القاضي عماد الدين الكندي ، وكان إماماً من أئمة علم اللسان ، وانه كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم ، وعجب ابن بطوطة لما رأى فقال : إنه لم ير في مشارق الأرض ومغاربها أعظم منها ، وذلك أنه رأى القاضي في صدر محراب ، وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب[٢٤٣] .

---

(٢٣٩) البيان والتبيين ١١٧/٣ .

(٢٤٠) ذيل طبقات الحنابلة ـ ابن رجب ٣٢٧/١ .

(٢٤١) النكت العصرية ص ١٢٩ ، العمامة ص٢٢ .

(٢٤٢) النكت العصرية ص ١٣٩ ، العمامة ص ٢٢ .

(٢٤٣) الرحلة ص ٢٣ .

وقد ذهب بعض العلماء إلى استحباب تكبير العمائم لتكون سبباً في معرفة لابسها ، وهي شعار للعلماء ، فقد سئل الفقيه عز الدين بن عبد السلام عن ذلك ، فأجاب : إنه لا بأس بلبس شعار العلماء من أهل الدين ، ليعرفوا بذلك فيسئلوا ، وجاء بمثل عن نفسه فقال : إنه كان يرى الناس في الطواف حول الكعبة يخلون بأصوله وآدابه ، فكان يرشدهم إلى الصواب ، إلَّا أنهم لا يقبلون منه لجهلهم بشخصه ، فلما لبس شعار الفقهاء ، وأخذ ينكر على الناس جهلهم بآداب الطواف ، سمعوا منه[٢٤٤] ، وقد صارت المبالغة في تطويل العمامة ، والمبالغة في تكبير دورتها ، وكثرة طياتها على الرأس ، سمة من سمات العصر ، وبخاصة لدى العلماء والأدباء والظرفاء ، وربما عزز بعض المغرمين بضخامة العمامة رأيهم ، بأن نسبوا كبر العمامة إلى عمامة رسول الله ﷺ[٢٤٥] ، واستندوا إلى ما جاء عن النووي ، من أنه كان للنبي ﷺ عمامة قصيرة سبعة أذرع ، وعمامة طويلة اثنا عشر ذراعاً[٢٤٦] ، ولم يصح شيء من ذلك ، قال ابن الجزري في تصحيح المصابيح : « تتبعت الكتب لأقف على قدر عمامة النبي ﷺ ، فلم أقف على شيء »[٢٤٧] .

ولا شك أن كثيراً من الناس ، ما كانوا يستطيعون اقتناء ولبس العمائم الكبار ، وكانوا يعمدون إلى التخفيف ، ويكتفون بعمامة صغيرة ، وإن كان المجتمع ينظر إلى لابس العمامة الصغيرة ، على أنه خارج على السلوك العام ، ومخل بالوقار ، وكان بعض الزاهدين يرون اطراح الكلفة في

---

(٢٤٤) الدعامة ص ٧٦ ـ ٧٨ .

(٢٤٥) الدعامة ص ٨٠ وما بعدها .

(٢٤٦) تحفة الأحوذي ٥/٤١٤ والدعامة ص ٨٠ .

(٢٤٧) الدين الخالص ٦/٢١٨ ، اللباس والزينة ص ٢٦٢ .

الملابس فصغروا عمائمهم[٢٤٨] ، روى عن أبي جعفر النحاس أنه كان مقتراً على نفسه ، فإذا أهديت له عمامة قطعها إلى ثلاث عمائم[٢٤٩] ، ومن غير شك أن العمائم الصغيرة ، كانت لباس الفلاحين والعامة والمتصوفة ، إذ أن البساطة والفقر سمة هذه الطبقات الاجتماعية .

ويصف ادوارد لين عمائم القرن الماضي ، فيقول : والعمائم الغالبة الآن في مصر ، لا تختلف أشكالها كثيراً ، فعمائم الخدم معقدة ذات تلافيف حلزونية مدرجة ، وكذلك عمائم كبار التجار والمتوسطين منهم ، وغيرهم من سكان العاصمة والمدن الكبيرة ، إلَّا أنها أقل حجماً منها ، والعمامة التركية في مصر أكثر أناقة ، والعمامة السورية تمتاز بسعتها ، وكان العلماء ورجال الدين والأدب يلبسون العمائم الواسعة الكبيرة ، ويسمونها (مقلة) ، والعمامة موضع الاهتمام والإجلال ، ولها في منزل الموسرين كرسي يسمى (كرسي العمامة) ، توضع عليه ليلاً ولا يستعمل لغير هذا الغرض ، وكثيراً ما يعد هذا الكرسي في جهاز العروس ، كما كان من المعتاد أيضاً ، أن يكون للمرأة كرسي آخر لغطاء رأسها[٢٥٠] .

وقد كان للحفاظ على هذا الوقار بلبس العمائم الضخام الكبار ، سلبيات ، منها غلاء هذه العمائم التي لا يستطيع اقتناءها إلَّا الموسرون ، وان هذه العمائم ثقيلة ترهق لابسها ، وقد تسبب آفات في الرأس ، كما مر في رواية أبي المثنى[٢٥١] ، ومن هذه الآفات : الصلع والبثور والدمامل التي تكون في الرأس أو الوجه ، في أوقات الحر خاصة ، لما تسببه العمامة من

---

(٢٤٨) الدعامة ص ٥٣ ، ٩٢ .

(٢٤٩) بغية الوعاة ص ٦ .

(٢٥٠) المصريون المحدثون ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢٥١) رسوم دار الخلافة ص ١٠٥ .

عرق ، وعدم دخول الهواء إلى الرأس[٢٥٢] .

وقد كان لهذا الاهتمام بلبس العمامة ، والعناية بها ، أن صار الناس والموسرون خاصة ، يحتفظون بأعداد كبيرة منها ، وكان الخلفاء والولاة يخلعون على الناس ـ في المناسبات ـ خلع التقليد والولاية والتشريف والمنادمة ، ومن هذه الخلع العمائم ، وقد خلف بعض الخلفاء أعداداً كبيرة جداً من العمائم ، فقد خلف هارون الرشيد أربعة آلاف عمامة[٢٥٣] ، وان الوزير ابن الفرات علي بن محمد حين صرف من وزارته الأولى سنة ٢٩٩هـ ، أخذ متاعه جملة ملابس ، كان فيها ألف ومائتا عمامة[٢٥٤] . ويذكر الثعالبي : أنهم وجدوا في خزانة كسوة الصاحب بن عباد ثلثمائة وعشرة آلاف عمامة[٢٥٥] ، ويروى عن المسترشد سنة ٢٩٥هـ ، حين ذهب للقاء مسعود ، كان الرحيل على خمسمائة جمل ، وكان معه عشرة آلاف عمامة من فاخر الثياب ، قد أعدها للتشريفات عند الظفر[٢٥٦] .

وبقي للعمامة أثرها ومكانتها في نفوس المسلمين حتى عصور متأخرة ، إلّا أنها صارت تختفي بالتدريج ، على أثر اجتياح المدنية الأوربية ، وتغير لباس الناس واتخاذ البدلة الافرنجية لباس الدولة الرسمي ، في بعض الأقطار العربية ، فهجرت الألبسة العربية إلى الزي الأوربي ، وصارت العمامة غريبة في أوطانها ، وبقيت لباس العلماء والقضاة وجمهور أهل الريف والبادية ، ومن فترة متقدمة أيضاً زاحمت العمامة ألبسة الرأس الأخرىٰ ، مثل القلنسوة والشاشية والغفارة ، وقد شاعت هذه في أقطار

---

(٢٥٢) الدعامة ص ٨٠ .

(٢٥٣) الذخائر والتحف ص ٢١٥ .

(٢٥٤) الذخائر والتحف ص ٢٢٩ .

(٢٥٥) لطائف المعارف ص ١١٩ .

(٢٥٦) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٣٩ .

المغرب والأندلس ، وشاعت الكوفية والعقال في العراق وسورية والجزيرة العربية وأقطار الخليج العربي ، أما في مصر فبقيت العمة الأزهرية وبجانبها الطربوش ، ثم صار الناس بأخرة يميلون إلى أن يكونوا حاسري الرأس ، إلّا في المناطق الحارة أو الشديدة البرودة ، وكانت وما زالت هذه الألبسة جميعاً متعاصرة ، فقد تشهد في مجتمع واحد ، الرأس الحاسر ، والمعتم بعمامة ، أو قلنسوة (عرقية) ، أو كوفية وعقال ، ويلاحظ في هذا العصر ، اختفاء الطربوش من مصر ، والسيدارة من العراق ، وما زالت العمائم والكوفية والعقال ، في بيئات عربية كثيرة ، تغالب الأزياء الأوربية .

أنواع العمائم ومادة صنعها :

يذكر الجاحظ أنواع العمائم فيصنفها حسب المكانة الاجتماعية فيقول : « وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللأعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللأبناء[٢٥٧] عمة ، وللروم والنصارىٰ عمة ، ولأصحاب التشاجي عمة »[٢٥٨] . ويتضح التفاوت في لبس العمائم ومادة صنعها كلما امتد الزمن وابتعدنا عن فترة صدر الإسلام ، فقد بدأ الترف يغزو العمامة الأموية والعباسية ، فعمائم الخلفاء في العصر الأموي والعباسي ، وكذلك عمائم الحاشية من الوزراء والتجار والموسرين كانت من الوشي المطرزة ، أو من الديباج ، أو من الخز الذي ينسج من الصوف والحرير ، وقد تكون العمامة من الحرير الخالص وحده ، وقد تكون من الوبر ، وقد تكون مرصعة

(٢٥٧) الأبناء : هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرىٰ مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن ، وتزوجوا من العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم (اللسان : بنو) .

(٢٥٨) التشاجي : التمنع والتحازن ، من الشجى وهو الحزن (اللسان : شجى) ، البيان والتبيين ٣/١١٤ .

بالذهب ، روى عن الأمين أنه طرب يوماً لسماع صوت غناه إياه مخارق المغني فخلع عليه « جبة وشي كانت عليه ودراعة مثلها وعمامة تكاد تعشي البصر من كثرة الذهب »[٢٥٩] ، ونعرف من العمائم المترفة في العصر العباسي التي تنسج من القز وتطرز بالذهب عمامة أرسلها رومانس ملك الروم هدية مع وفد إلى الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٦هـ ، وفي سنة ٤٢٧هـ أهدى قسطنطين ملك الروم إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، نوعاً من العمائم ، وصفت بـ (الطلى المرتفع) ، وكانت مطرزة بالذهب[٢٦٠] ، وعرفت أصناف من هذه العمائم بأسماء خاصة منهـا :

الرصافيـة :

والرصافية ضرب من العمائم نسبة إلى رصافة بغداد[٢٦١] ، وهي من عمائم الخلفاء وأولياء العهد والحاشية والموسرين ، ذُكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على القاضي أحمد بن أبي دؤاد « وقد اعتم على رأسه رصافية بعمامة خز أسود لها طرفان من خلفه وأمامه »[٢٦٢] ، ونقل ابن الجوزي : « أن المسترشد جلس في قبة على سدة وعليه الثوب المصمت والعمامة الرصافية »[٢٦٣] .

الحرقانيـة :

تطلق تسمية الحرقانية على العمامة التي فيها ضرب من الوشي لونه كأنه محترق[٢٦٤] ، وروي أن النبي ﷺ لبس عمامة حرقانية ، ففي روايـة

---

(٢٥٩) الأغاني ٢٣٩/٢١ ـ ٢٤٠ ط ليدن .

(٢٦٠) الذخائر والتحف ص ٦٢ ، ٧٥ .

(٢٦١) المنتظم ١٣٦/٨ ، رسوم دار الخلافة ص ٩٠ .

(٢٦٢) المستجاد ـ التنوخي ص ٥٣ ، رسوم دار الخلافة ص ٨١ ، ٩٠ .

(٢٦٣) المنتظم ٩٢/٢ ، ٢٢٥/٨ .

(٢٦٤) المخصص ٨٣/٤ .

النسائي : « رأيت على النبي ﷺ عمامة حرقانية »[٢٦٥] ، ولبس بعض الصحابة عمامة حرقانية ، مثل عبد الله بن عمر[٢٦٦] ، ومحمد بن الحنفية[٢٦٧] .

الشِّرْب :

وهي عمائم من رقيق الكتان الغالية الثمن عرفت بعمائم الشِّرْب[٢٦٨] ، والشرب قماش يصنع من الكتان الرقيق الأبيض أو الملون ، وقد عرف العراقيون بلبس هذا النوع من العمائم ، يقول البشاري المقدسي : « إقليم العراق من رسومهم التجمل والتطيلس ولبس الشِّرب »[٢٦٩] ، وقد اشتهرت ديبق من قرى دمياط بصناعة هذه العمائم الملونة المذهبة ، قيل إنها تبلغ من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل ، وعرفت هذه العمائم زمن العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٦٥هـ المتوفى سنة ٣٨٦هـ[٢٧٠] ، ويصف ابن جبير في رحلته إلى مكة عمامة أميرها : « عمامة شرب رقيقة سحابية اللون ، قد علا كعبها على رأسه كأنها سحابة مركومة ، وهي مصفحة بالذهب »[٢٧١] ، وقيل إن برجوان الخادم ، وكان خصياً أبيض ربي في دار العزيز بالله « وجد الحاكم في تركته مائة منديل ، يعني عمامة ، كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية »[٢٧٢] .

---

(٢٦٥) النسائي ٢١١/٨ باب لبس العمائم الحرقانية ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ .
(٢٦٦) طبقات ابن سعد ١١/٤ .
(٢٦٧) ابن سعد ٨٤/٥ .
(٢٦٨) فقه اللغة - الثعالبي ص ٣٥٩ .
(٢٦٩) أحسن التقاسيم ص ١٢٩ .
(٢٧٠) الخطط - المقريزي ٣٦٥/١ .
(٢٧١) رحلة ابن جبير ص ٢٧١ .
(٢٧٢) الخطط ٥/٣ .

عمائم الغزاة :

سميت عمائم المعتصم التي لبسها عند توجهه لغزو عمورية[٢٧٣] ، ولعل الناس صاروا يقلدونها فعرفت بعمائم الغزاة .

العمائم الثغرية :

نسبة إلى الثغور وهي مدن الحدود الإسلامية التي سكنها المجاهدون ، ورد ذكرها في خبر أحمد بن علي البستي (٤٠٣هـ) ، كان في بدء أمره يلبس الطيلسان ويسمع الحديث ويقرأ القرآن على شيوخ عصره ، ثم لبس بعد ذلك الدراعة ، وسلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء ، وكان يلبس الخفين والمبطنة ، ويتعمم العمة الثغرية[٢٧٤] .

وهناك عمائم أخرىٰ شاعت في العصر العباسي مثل عمائم (القصب) ، وهي نوع من العمائم الجيدة المصنوعة من الكتان ، وتكون رقيقة ناعمة[٢٧٥] ، وعرفت العمائم (الرومي) في القرن السادس الهجري وكانت غالية الثمن[٢٧٦] .

وقد تقدمت صناعة العمائم في بعض المدن الإسلامية ، وشهرت مدن بعينها في صناعة عمائم معينة ، وقد اشتهرت بغداد بصنع العمائم الجيدة وتصديرها[٢٧٧] ، وفي مصر عرفت دبيق ومدينة بورة على ساحل البحر قرب دمياط ، وتنسب إليها العمائم البورية[٢٧٨] ، وعرفت العمائم الحلبية

---

(٢٧٣) مروج الذهب ٤٧٢/٣ .

(٢٧٤) معجم الأدباء ٢٣٤/١ .

(٢٧٥) العمامة ص ١٤٤ .

(٢٧٦) تلبيس إبليس ص ١٨١ .

(٢٧٧) مرآة الزمان ٥٦٢/٨ .

(٢٧٨) معجم البلدان : بورة .

المشقوقة في الشام ، أما في خراسان فاشتهرت مدينة شهرستان بنوع من العمائم نسبت إليها ووصفت بأنها رفيعة وطويلة ، وان أهل شهرستان بارعون في صناعتها[٢٧٩] ، واشتهرت جنزة من مدن إيران على البحر الأسود وبحر الخزر بعمائم الخز ، وكانت تصدر عمائمها إلى البلاد الإسلامية[٢٨٠] ، وفي تستر وهي أعظم مدينة بخوزستان ، كانت تصنع عمائم فائقة وثياب جيدة[٢٨١] ، ولبس يوماً الصاحب بن عباد عمامة بطراز عريض من عمل تستر ، فجعل بعض جلسائه يتأملها ويطيل النظر إليها ، فقال الصاحب : ما عملت بتستر لتستر[٢٨٢] .

وإذا وقفنا عند العمائم في القرن الماضي في مصر ، نجد أن عمائم الموسرين على الشكل الآتي كما يصفها إدوارد لين : « أما غطاء الرأس فيتكون من قلنسوة (طاقية) قطنية صغيرة مطابقة للرأس تماماً ، ثم يوضع (الطربوش) وهو غطاء من الجوخ الأحمر محكم على الرأس أيضاً ، يتدلى من قمته شرَّابة من الحرير الأزرق القاتم ، وأخيراً يلف على الطربوش قطعة طويلة من الحرير الموصلي الأبيض المصور ، أو شال كشمير ، وهذه هي العمامة »[٢٨٣] ، وتكون عمامة الشريف الذي له نسب برسول الله ﷺ خضراء ، وله وحده هذا الامتياز ، كما أنه ليس من المعتاد أن يلبس أحد غير الأشراف ثياباً خضراً ناضرة[٢٨٤] .

أما عمائم العامة فهي شال من الصوف أبيض أو أحمر أو أصفر ، أو قطعة

(٢٧٩) آثار البلاد ص ٣٩٨ .

(٢٨٠) آثار البلاد ص ٥٢٣ .

(٢٨١) معَجم البلدان : تستر .

(٢٨٢) معجم البلدان : تستر .

(٢٨٣) المصريون المحدثون ص ٣٤ . (٢٨٤) السابق ص ٣٥ .

من غليظ القطن أو الحرير الموصلي ، تلف حول طربوش تحته لبدة بيضاء أو سمراء ، وبعض الفقراء لا يملكون غير اللبدة ، فلا عمامة ولا سراويل ولا نعل[٢٨٥] .

عمائم أهل الذمة :

ينسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أهل الذمة من النصارىٰ واليهود أن يلبسوا الغيار ، وهي الملابس التي تغاير ملابس المسلمين في العمائم والزنانير والأخفاف ، وعرفت فيما بعد بالشروط العمرية[٢٨٦] ، وألزم النصارىٰ في العصور التالية بلبس العمائم الزرق ، واليهود بلبس العمائم الصفر أو الحمر ، تفريقاً لهم عن المسلمين الذين كانوا يلبسون العمائم السود أو البيض ، وتفاوت الخلفاء فيما بعد في التشدد في الغيار أو التسامح فيه ، ونعرف ممن تشددوا في العصر العباسي الخليفة هارون الرشيد ، فقد أمر سنة ١٩١هـ بأن يؤخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم لهيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم ، وأن تكون قلانسهم مضربة[٢٨٧] .

وفي عام ٢٣٥هـ أمر المتوكل بإلزام النصارىٰ وأهل الذمة بلبس الطيالس العسلية . . . ومن أراد لبس قلنسوة فليجعل لها زرين[٢٨٨] ، وقد تمر فترات تسامح وتراخ ، رصدها آدم متز وأثنى عليها[٢٨٩] ، وفي القرن الخامس يصدر الخليفة سنة ٤٢٩هـ أمراً بإلزام أهل الذمة بلبس ملابس يعرفون بها عند المشاهدة[٢٩٠] ، وفي عام ٤٤٨هـ يصدر المحتسب أبو منصور بن ناصر

---

(٢٨٥) السابق ص ٣٦ . (٢٨٦) السلوك ٩١٠/١ .

(٢٨٧) تاريخ الطبري ٧١٣/٣ ط أوربا ، الخراج ـ أبو يوسف ص ١٢٧ .

(٢٨٨) تاريخ الطبري ١٣٨٩/٣ .

(٢٨٩) الحضارة الإسلامية ٨٥/١ (٢٩٠) المنتظم ٩٦/٨ .

السياري أمره بأن يلبس أهل الذمة العمائم المصبوغات ، إلاَّ أن خاتون (زوجة الخليفة) منعت المحتسب من إمضاء هذا الأمر[٢٩١] .

وقد لبس النصارىٰ في العصر الفاطمي العمائم السود ، في عهد الحاكم بأمر الله وعهد خلفه ، ولبس أهل السامرة بفلسطين اللباس الأحمر ، وفي العصر المملوكي ، أمر السلطان الناصر قلاوون سنة ٧٠٠هـ أن يلبس النصارىٰ العمائم الزرق ، واليهود العمائم الصفر ، والسامرة العمائم الحمر ، فالتزموا بذلك في سائر بلاد مصر والشام أما في المناطق التي يكون فيها النصارىٰ وحدهم ، كما في منطقة الكرك والشَّوْبَك (في جنوب شرق فلسطين) ، فإنهم يتركون على حالتهم يرتدون العمائم البيض[٢٩٢] .

ولا شك أن أهل الذمة كانوا ساخطين على هذا الإلزام ، وكانوا متمسكين بلبس العمائم البيض ، ولذلك فقد لجأ بعض النصارىٰ إلى إعلان إسلامهم ، وبخاصة أولٰئك الذين كانوا يعملون في دواوين الدولة ، مثل أمين الملك عبد الله بن العنام مستوفي الصحبة ، وخلق كثير « حرصاً منهم على بقاء رياستهم وأنفة من لبس العمائم الزرق »[٢٩٣] .

وقد تمر فترات يظهر فيها النصارىٰ أنفتهم من لبس العمائم الزرق فيعودون إلى لبس العمائم البيض ، فيثور المسلمون وتحدث اضرابات بينهم ، مما حدى بالسلطة في مصر أن تصدر أمراً سنة ٧٢١هـ مفاده : « من وجد من النصارىٰ بعمامة بيضاء حل دمه . . . »[٢٩٤] ، فلم يجرؤ نصراني بعد ذلك أن يخرج من بيته في زيه المعلوم ، وكان النصراني يكتري عمامة

---

(٢٩١) المنتظم ١٧١/٨ . (٢٩٢) السلوك ٩١٢/١ العمامة ص ٣٠ .

(٢٩٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي ٩١١/١ .

(٢٩٤) السلوك ٢٢٧/٢ ـ ٢٢٨ ، ٢٥٣ .

صفراء من يهودي ليخرج بها متنكراً[٢٩٥] ، ولعل هذا التشدد كان من أثر الحروب الصليبية التي حصلت في هذه الفترة ، وأن المماليك هم الذين واصلوا الجهاد بعد صلاح الدين الأيوبي[٢٩٦] ، وقد تابعت بغداد مصر في هذه السياسة ، ففي عام ٧٣٤هـ ألزم صاحب بغداد النصارىٰ بلبس العمائم الزرق ، وألزم اليهود بلبس العمائم الصفر ، اقتداء بالسلطان الملك الناصر[٢٩٧] ، وكانت الأوامر التي تصدر إلى أهل الذمة بلبس الغيار المعلوم تحدد في بعض الأحيان أطوال العمائم ، ففي سنة ٧٥٥هـ في مصر حددت أطوال العمائم لأهل الذمة بعشرة أذرع فما دون[٢٩٨] . وفي القرن الماضي في مصر كانت عمائم المسلمين تمتاز بلونها الأبيض ، أما الأقباط واليهود فعمائمهم سود ، أو زرق ، أو رمادية ، أو ذات لون أسمر خفيف[٢٩٩] .

عمـــائم النســـــاء :

العمامة في الأصل من لباس الرجال ، ولا يجوز أن تلبسها المرأة ، إذ أن في ذلك تشبهاً بالرجال ، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال[٣٠٠] ، هذا هو الأصل ، ولكن هل هناك عمائم خاصة بالنساء ؟ نعم ، لقد ظهرت في العصر العباسي هذه العمائم ، وفي البداية ، كانت بعض المتظرفات يلبسن عمامة تظرفاً ، ثم

---

(٢٩٥) السلوك ٢/٢٢٧ .

(٢٩٦) العمامـة ص ٣٠ .

(٢٩٧) السلوك ٢/٣٧٥ .

(٢٩٨) السلوك ٢/٩٢٣ - ٩٢٤ .

(٢٩٩) المصريون المحدثون ص ٣٧ .

(٣٠٠) بخاري : لباس ٦١ ، ٦٢ ، عمدة القارىء ٢٢/٤١ .

صارت للنساء عمائم خاصة بهن[٣٠١] ، وينفي دوزي أن تكون المرأة قد لبست العمامة ، ويستدل بذلك على أن قبور المسلمين ينحت عليها شكل عمامة على شاهدة القبر ، وبها يعرف أن الميت ذكر ، أما النساء فينحت على قبورهن إكليل امرأة[٣٠٢] . ولدينا صور أثرية فيها النساء يلبسن العمائم ، ففي تصويرة مخطوط مقامات الحريري سنة ٦٣٤هـ المحفوظ في المكتبة الأهلية بباريس ، صور نساء يلبسن العمائم ، وكذلك في متحف اللوفر بباريس صحن من الخزف يعود إلى القرن السادس الهجري ، فيه رسم امرأة على رأسها عمامة[٣٠٣] .

ويرد في القرن السابع خبر طريف عن عمائم النساء في انطاكية ، ففي سنة ٦٤١هـ مر محيي الدين يوسف بن الجوزي بمدينة انطاكية ، فشاهد فيها النساء يتعممن كالرجال ، وعمائمهن تختلف في الكبر حسب عدد الأولاد ، إذ هي تبدأ بعمامة طولها ستة أذرع عند ولادتها الأولى ، فإذا أنجبت مرة أخرى زادت عمامتها ستة أذرع أخرىٰ ، وهكذا[٣٠٤] .

وفي العصور المتأخرة بالغت النساء في تكبير عمائمهن ، واتخذت البدويات خاصة عمامة الرأس زياً ما يزال حتى الآن في بعض المناطق العربية ، ويذكر المقريزي[٣٠٥] أن النساء اتخذن الشنابر[٣٠٦] لفة للرأس ، وهي مكونة من شريط من الحرير الأسود ، أو الأحمر القاتم ، عرضه شبران وطوله نحو سبعة أذرع ، تلفه النساء على رؤوسهن فوق العصابة ، بحيث

(٣٠١) الموشى ص ١١٦ .
(٣٠٢) المعجم المفصل ص ٢٥٤ .
(٣٠٣) الملابس العربية الإسلامية ص ١٦٩ .
(٣٠٤) الحوادث الجامعة ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، العمامة ص ٣١ .
(٣٠٥) السلوك ٢/٥٢٨ .
(٣٠٦) جمع شنبر وهي كلمة فارسية معربة .

يتدلى أحد طرفيه من مقدم الرأس والثاني من مؤخره[٣٠٧] .

ويصف ادوارد لين عمائم النساء في مصر في القرن الماضي ، فنجدها لا تختلف كثيراً عن عمائم الرجال ، فيقول : « يتكون غطاء الرأس من طاقية وطربوش ، ثم منديل مربع يسمى (فارودية) ، من الموصلي ، الموشى أو المطبوع ، أو من الكريب يلف حولهما بقوة ، ويسمى هذا (ربطة) ، وكانت هذه المناديل تستعمل منذ قريب ، وما زالت تستعمل أحياناً لربط عمائم النساء ، التي تكون مرتفعة مستوية بخلاف عمائم الرجال . وهناك نوع من التيجان يسمى (قرصاً) ، وبعض الحلى الأخرى توضع على غطاء الرأس »[٣٠٨] ، وكان هناك كرسي خاص لعمامة المرأة توضع عليه ليلاً ، ولا يستعمل هذا الكرسي إلّا لوضع العمامة ، ويكون جزءاً من جهاز العروس[٣٠٩] .

وما زالت النساء في بعض مناطق العراق يلبسن العمامة ، ولبسهن لها هو امتداد لتراث قديم ، ففي جنوب العراق في منطقة البطائح (الأهوار) تلبس المرأة عمامة سوداء كبيرة نسبياً ، تتكون من قماش قطني أو صوفي خفيف يبلغ سبعة أذرع وتسمى العصابة في بعض المناطق ، والعمامة في مناطق أخرى[٣١٠] ، وفي شمالي العراق تلبس النساء عمائم من قماش ملون ومزين بقطع الذهب (ليرات عثمانية) ، أما المرأة اليزيدية في شمالي العراق فتعمم بقطعة قماش أحمر أو أسود ، فإذا تزوجت لبست العمامة البيضاء ، والمرأة اليزيدية في منطقة سنجار تكبر من عمامتها[٣١١] .

---

(٣٠٧) الأزياء الشعبية في العراق ـ وليد الجادر ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣٠٨) المصريون المحدثون ص ٤٣ .

(٣٠٩) المصريون المحدثون ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣١٠) العمامــة ص ٣٢ .

(٣١١) الأزياء الشعبية في العراق ص ١٠٩ .

تذييل فيما أُلِّف في العمامة :

الكتب والرسائل التي تناولت العمامة بالذكر كثيرة ، منها كتب الحديث واللغة والمعجمات وكتب البلدان والحضارة والتاريخ والأدب وغيرها ، وهناك مؤلفات خصت العمامة بالتأليف ، منها المخطوط ، ومنها الذي أشارت إليه فهارس الكتب ، ومنها المطبوع الذي وقفنا عليه ، ولا شك أن هناك مؤلفات لم يسعدنا الحظ بالعلم بها أو الوقوف عليها :

(أ) المخطوط :

أزهار الكمامة في أخبار العمامة ، ونبذة في ملابس المخصوص بأسرار الإمامة ﷺ لأبي العباس أحمد بن محمد المقرىء المغربي المالكي البغدادي .

(إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/٦٧) منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية .

رسالة في العمامة ـ لعلي القارى ، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد مجموعة رقم ١٣٨١٣/١٢٥ .

رسالة في العمامة والطيلسان المربع ـ مجهولة المؤلف ، مكتبة أسعد أفندي ـ استانبول ، مجموعة رقم ٦٩٦ .

المقالة العذبة في العمامة ـ لمجهول ، مخطوط في مكتبة حميدية باستانبول ، مجموعة رقم ١٤٣٩ .

(ب) ما ذكرته الكتب :

تحفة الأمة بأحكام العمة ـ للشيخ أبي الفضل محمد بن أحمد المعروف بالإمام (كشف الظنون ١/٣٦٣) .

در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة ـ لشهاب الدين

أحمد بن حجر الهيثمي المكي البغدادي (إيضاح المكنون ١/٤٤٦) .
شارح الشفا الثمامة في صفة العمامة ـ لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (عن مقدمة كتاب الدعامة في أحكام سنة العمامة) .
صوب الغمامة في إرسال طرف العمامة ـ لكمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي (كشف الظنون ٢/١٠٨٣) .
الموارد المستعذبة بمصادر العمامة والعذبة ـ للواعظ محمد بن عبد الله حجازي القلقشندي البغدادي (إيضاح المكنون ٢/٥٩٩) .
فضل لباس العمائم ـ لابن وضاح الأندلسي المالكي .

(ج) المطبوع :

الدعامة في أحكام سنة العمامة ـ لمحمد بن جعفر الكناني الحسني ، طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ١٣٤٢هـ/١٩٢٥م .
العمامة ـ لبدري محمد فهد ، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٦٨م .
العمامة تاريخها وتقاليد لباسها عند العرب ـ لأبي بكر عبد الكافي ، مقالة في مجلة الفكر التونسية العدد الخامس الصفحات ٣٨ ـ ٤٤ ، تونس ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

مصادر البحث ومراجعه

آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني : أبو عبد الله زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ) ط صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد البشاري (ت٣٧٥هـ) ، ط ليدن ١٩٠٦م .

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ القسطلاني : أحمد بن محمد (ت٩٣٣هـ) ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصورة عن ط بولاق ١٣٢٣هـ .

الأزياء الشعبية في العراق ـ وليد الجادر ، ط بغداد ١٩٧٩م .

الأصمعيات ـ الأصمعي : عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ) ، تحقيق شاكر وهارون ، ط دار المعارف مصر ١٩٧٩م .

الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، ط دار الكتب المصرية ، و ط ليدن .

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ـ إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت١٣٣٩هـ) ، ط وكالة المعارف الجليلة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧م .

البخـــلاء ـ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق طه الحاجري ، ط دار المعارف مصر ١٩٧١م .

بغيـــة الوعاة ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) ، ط الحلبي مصر ١٩٦٥م .

بلوغ الارب ـ الألوسي : محمود شكري (ت١٣٤٢هـ) ، تصحيح محمد بهجة الأثري ، ط دار الكتاب العربي ـ مصر ١٣٤٢هـ .

البيان والتبيين ـ الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الخانجي مصر ١٩٧٥م .

التاج في أخلاق الملوك ـ الجاحظ ، تحقيق أحمد زكي ، ط الأميرية مصر ١٩١٤م .

تاج العـروس ـ الزبيدي : محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) ، ط الخيرية مصر ١٣٠٦هـ .

تاريخ التمدن الإسلامي ـ جرجي زيدان ، ط القاهرة ١٩٣٥م .

تاريخ الطبري ـ الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، ط الحسينية ، و ط أوربا .

تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ) ، ط هوتسمان ، ليدن ١٨٨٣م ، و ط بيروت ١٩٦٠م .

تحفة الأحـوذي بشرح جامع الترمذي ـ محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ) ، ط دار الفكر بيروت ١٩٧٩م .

تلبيس إبليس أو نقد العلم والعلماء ـ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ، صححه محمد منير الدمشقي ، ط النهضة ، مصر ١٩٢٨م .

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ـ أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق عزة حسن ، ط دمشق ١٩٦٩م .

تهذيب الألفاظ ـ ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ) ، تحقيق لويس شيخو ، ط الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥م .

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ـ ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي الشيباني ، ط الجمالية ، مصر ١٣٣٠هـ .

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٤٢٩هـ) ، ط الاتحاد ، مصر .

جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ ابن الأثير : مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م .

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

الخراج ـ أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ) ، ط السلفية ، مصر ١٣٨٢هـ .

الخطط ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، ط القاهرة ١٣٢٤هـ .

الدعامة في أحكام سنة العمامة ـ محمد بن جعفر الكناني (ت١٣٤٥هـ) ، ط الفيحاء ، دمشق ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥م .

الدين الخالص ـ السبكي : الشيخ محمود محمد خطاب ، ط السلفية ، مصر ١٩٧٠م .

ديوان الأعشى ـ تحقيق محمد محمد حسين ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ديوان جرير ـ ط صادر ، بيروت .

ديوان دريد بن الصمة ـ تحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار قتيبة ، دمشق ١٩٨١م .

ديوان عنترة ـ ط صادر ، بيروت .

ديوان الفرزدق ـ ط صادر بيروت ، و ط الصاوي .

الذخائر والتحف ـ القاضي الرشيد بن الزبير (تق٥هـ) ، تحقيق محمد حميد الله ، الكويت ١٩٥٩م .

ذيل طبقات الحنابلة ـ ابن رجب : عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت٧٩٥هـ) ، ط السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .

رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة : محمد بن عبد الله (ت٧٧٩هـ) ، ط بيروت .

رحلة ابن جبير ـ ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير (ت٦١٤هـ) ، ط بيروت ١٩٦٤م .

رسوم دار الخلافة ـ الصابىء : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ) ، تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

الروض الأنف ـ السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ) ، ط الجمالية ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

زاد المعاد في هدي خير العباد ـ ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، ط بيروت ١٩٧٩م .

السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، تحقيق مصطفى زيادة ، ط دار الكتب ، ولجنة التأليف ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨م .

سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ـ الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، ط القاهرة ١٩٣٧م .

سنن أبي داود ـ أبو داود : سليمان بن الأشعث الأزدي (ت٢٧٥هـ) ، ط محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٦م .

سنن ابن ماجة ـ ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط الحلبي مصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .

سنن النسائي ـ النسائي : أبو عبد الرحمن بن شعيب (ت٣٠٣هـ) ، ط الحلبي مصر ١٣١٢هـ .

شرح مقامات الحريري ـ الشريشي : أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت٦٢٠هـ) ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ط المدني ، مصر ١٩٧٣م .

شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ـ يحيى الجبوري ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٣١هـ) ط الأميرية ، القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

الصحـــاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ـ الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار الكتاب العربي مصر ١٣٧٧هـ .

صحيح مسلم (الجامع الصحيح) ـ مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) ، ط بولاق ١٣٢٩هـ .

صحيح مسلم بشرح النووي ـ يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ، بعناية عبد الله أحمد أبو زينة ، ط الشعب ، مصر ١٩٧٣م .

طبقـــات ابن سعد (الطبقات الكبرىٰ) ـ محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ) ، بعناية سخاو ، ليدن ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م .

طبقات الشعراء ـ ابن سلام : محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ، تحقيق محمود شاكر ، ط المدني مصر ١٩٧٢م .

العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ـ بدري محمد فهد ، ط بغداد ١٩٦٧م .

العقـــد الفريد ـ ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٧هـ) ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦م .

العمامـــة ـ بدري محمد فهد ، ط الحكومة بغداد ١٩٦٨م .

العمامـــة تاريخها وتقاليد لباسها عند العرب ـ أبو بكر عبد الكافي ، مجلة الفكر التونسية عدد ٥ ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ البدر العيني : محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ) ، ط دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .

عيـــون الأخبـــار ـ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) ،

ط دار الكتب المصرية ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠م .

الفخري في الآداب السلطانية ـ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ) ، ط الرحمانية ، القاهرة ١٩٤٠م .

فقه اللغة وسر العربية ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٤٣٠هـ) ، طبعة مصورة الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨١م .

القاموس المحيط ـ الفيروزابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٦هـ) ، ط الحلبي مصر ١٩٥٣م .

كتاب الأمثال ـ القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، ط دار المأمون ، بيروت ، دمشق ١٩٨٠م .

كتاب المحن ـ أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣هـ) ، تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) ، ط استانبول ١٩٤١م .

اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ـ محمد عبد العزيز عمرو ، ط دار العرفان ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، عمان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

لسان العرب ـ ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ) ، ط بولاق ١٣٠٠هـ .

لطائف المعارف ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد

النيسابوري (ت٤٣٠هـ) ، تحقيق الابياري والصيرفي ، ط القاهرة ١٣٧٩هـ .

مجمع الأمثال ـ الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ) ، ط محي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥٩م .

المحاسن والمساوىء ـ البيهقي : إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ) ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، ط مصر ١٩٦١م .

المخصص ـ ابن سيده : علي بن إسماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ) ، ط المكتب التجاري بيروت .

مرآة الزمان ـ سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) مخطوط في المكتبة الوطنية باريس ٢١٣١ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي : أبو الحسن علي بن أبي الحسين (ت٣٤٦هـ) ، ط محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .

المستجاد من فعلات الأجواد ـ التنوخي : أبو علي المحسن بن علي القاضي (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق محمد كرد علي ، ط دمشق ١٩٤٦م .

مسند أحمد بن حنبل ـ ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ، ط الحلبي ١٣١٣هـ .

المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ـ إدوارد لين ، ترجمة عدلي طاهر نور ، ط القاهرة ١٩٧٥م .

معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ـ ياقوت : بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ) ، تصحيح مرجليوث ، ط القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠م .

معجم البلدان ـ ياقوت الرومي ، ط صادر ، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية ـ رينهارت دوزي ، ترجمة أكرم فاضل ، ط بغداد ١٩٧١م .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ فنسنك ، ط ليدن ٣٦ ـ ١٩٦٩م .

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جواد علي (يشار إليه في البحث باسم المؤلف اختصاراً) ط دار العلم للملايين ، بيروت ٧٦ ـ ١٩٧٨م .

مكارم الأخلاق ـ الطبرسي : أبو نصر الحسن بن الفضل (ت٥٤٧هـ) ، ط طهران ١٣٧٦هـ .

الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني ـ صلاح العبيدي ، ط بغداد ١٩٨٠م .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ، ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدراباد ١٣٥٧ ـ ١٣٦٠هـ .

المؤتلف والمختلف ـ الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط الحلبي مصر ١٩٦١م .

الموشى ـ الوَشاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ) ط ليدن ١٣٠٢هـ .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) ، ط دار الكتب المصرية ١٩٣٠م .

نهاية الارب في فنون الأدب ـ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ) ، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ـ ١٩٥٥م .

الوفا بأحوال المصطفى ـ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

مجلة الثقافة ـ العدد ٢٨٥ سنة ١٩٤٤م .

مجلة الرســالة ـ العدد ٤٥٣ سنة ١٩٤٢م .

أفدنا في إخراج رسوم (العمامة) من كتاب (المصريون المحدثون) لإدوارد لين و (الأزياء الشعبيـة في العـراق) للجـادر و (المـلابس الإسـلاميـة) للعبيـدي .



عمامـــة وعذبـــة لتلميـذ
في تصويرة من مخطوط كتاب (خواص العقاقير)
متحف طوبقبوسراي - تركية



لثـــام
في تصويرة من مخطوط مقامات الحريري
المكتبة الوطنية - باريس



عمامـــة الطبقة الدنيا في مصـــر
عن كتاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمـــائم الطبقتين العليـا والوسطى في مصر
عن كتـــاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمـــــائم

في تصويرة من مخطوط مقامات الحريري

المكتبة الوطنية ـ باريس

عمامـــة وعذبـــة لعـــالم

في تصويرة من مخطوط كتاب خواص العقاقير

متحف طوبقبوسراي ـ تركية



عمامـــة امـــرأة
في حشوة من العـــاج ـ المتحف البريطـــاني



عمامـــة امـــرأة
في صحن من الخزف ، من مجموعة باريس واطسن



عمامـــة والي مـــرو

في تصويرة من مخطوط مقامات الحريرى ـ المكتبة الوطنية ـ باريس



عمامـــة طبيب

في تصويرة من مخطوط الترياق ـ المكتبة الوطنية ـ باريس



المقلـــــة
عن كتاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمامـــة قفــداء
في تصويرة من مخطوط مقامات الحريري ـ المكتبة الوطنية ـ باريس



عمـائـم

في تصوير من مخطوط مقامات الحريري ـ المكتبة الوطنية باريس .



عمـائـم

في تصوير من مخطوط مقامات الحريري ـ المكتبة الوطنية باريس .



عمامة قفداء
في صحن من الخزف - متحف المتروبوليتان - نيويورك



سيدة متحلية بالقرص والصفا
عن كتاب (المصريون المحدثون) - ادوارد لين



عمامـــة طبيب
في قطعة من الخـــزف ـ متحف برلين الغربيـــة